صور

من حياة الشعب الروسى

تأليف
مهندس / مصطفى العوفى

مُقَدِّمَة

السلوفان الشرقيين ومكانتهم في أوروبا والعالم

السلوفان أو السلوفانيين هو اسم يطلق علي جنس يضم ثلاثة شعوب تعيش في روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا . وكان كل هؤلاء تضمهم جميعا الدولة الروسية القديمة .

وقد انحدرت هذه الشعوب الثلاثة من أصول القبائل السلوفانية التي كانت تعيش في الأقاليم الواسعة في سهول شرق أوروبا وحوض نهر الدنيبير "Dnioper" وشمال وجنوب البلطيق .

ويرجع تكوين الدولة الروسية القديمة وقيامها إلى سنة ٨٦٢ ميلادية عندما تم دعوة الاسكندنافيين والفارنجيين إلى العاصمة الروسية الأولى "نوفو جورد" وتم توطينهم في الدولة . ثم انتقلت العاصمة بعد ذلك إلى مدينة كييف حيث ازدادت قوة الدولة واتسع نفوذها وحدث استقرار لأحوالها وفي عام ٩٨٨ دانت بالمذهب الأرثوذكسى علي الرغم من معارضة الفارنجيين .

وكانت هذه أهم العلامات علي الطريق نحو تطور تأسيس وتطوير الدولة الروسية القوية وتكوين ثقافتها والوعي العام الخاص بها .

وفي ذلك الوقت حينما اشتدت قوة الدولة وسطوتها أدرك "يوروسلاف" الحكيم ابن الأمير فلاديمير انه أقوى القادة في أوروبا وذلك بعد أن أصبحت ابنته "أن" واحدة من أعظم ملكات فرنسا .

وعندما عانت معظم الدول من جراء الإقطاع الذي ساد أوروبا فإن روسيا التي كانت تعتبر جزءاً من أوروبا لم تنجوا من هذه المعاناة أيضا . وأدي ذلك إلى

ضـــعفها وتقسيمها إلى دويلات صغيرة ومن ثم صارت مطعماً لأعداء أقوياء وهم التـــتار ولكن علي الرغم من المقاومة التي أبدها الأمراء الروس كل علي حدي إلا أنهم لم يكن لديهم الحكمة أو القدرة علي توحيد صفوفهم وتجميع جهودهم للمقاومة ومـــن ثـــم تكوين المملكة الذهبية . وفي الوقت ذاته كانت الكنيسة تحارب من أجل الحـــرية والأمل فكان ذلك من الأشياء التي سيلت علي التتار السيطرة علي أوروبا المسيحية وبالطبع اقرب الأقاليم إلى أوروبا ألا وهي روسيا وجيرانها .

ملحوظـــة : (من المرجح أنه في ذلك الوقت كانت روسيا تنتمي إلى أوروبا وذلك قـــبل التوسع في قارة أسيا . ووقتها حصلت روسيا علي المكانة الدولية الأهم في النظام العالمي في ذلك الوقت) .

وبصفة عامه فإن إقليم "نيتش" "Niche" الذي تم احتلاله بواسطة السلوفان الشـــرقيين والذي كان له علاقة تاريخية مع بلاد الجوار الجغرافي حيث يربط بين نقطة التقاء حضارتين وهما حضارتي الشرق والغرب . لذلك كان العامل الجغرافي هو العامل الأهم وليس العامل الوحيد الذي ساهم في تحديد موقع السلوفان الشرقيين فـــي أوروبـــا والعـــالم . بينما ساهم المذهب الأرثوذكسى في تحديد الهوية الثقافية وتحديد الشخصية القومية .

إن دول الحدود التي تقع في نقطة التقاء بين حضارتين مختلفتين غالبا ما يكون بين هذه الدول الحدودية سمات وخصائص مشتركة لذلك نجد أن الشعوب في الـــدول التـــي تـــنحدر من اصل سلوفاني في تلك المنطقة مثل البولنديون والتشيك والســـلوفاك نجد أنها تتشابه كثيراً مع روسيا وبخاصة من الناحية التاريخية بشكل أكـــبر كثـــيراً من التشابه بين روسيا والأسبان مع أن الأسبان ينحدرون من أصل سلوفاني مع أن أسبانيا أيضا تقع بين حضارتين مختلفتين وهما الحضارة الإسلامية العربـــية فـــي الجـــنوب والحضارة الأوروبية الغربية في الشمال وذلك يرجع إلى الاختلاف في الظروف المؤثرة والمشكلة لذلك الشكل الرابط بين الحضارات .

لقـــد مر علي الشعوب في شرق أوروبا غزاة كثيرون في الماضي وامتد هـــذا التأثير إلى الحياة كلها بصفة عامه وإلى الثقافة الداخلية مما ساهم في تشكيل شكل قومي مختلف علي الرغم من كل هذا فقد احتفظت هذه الشعوب بدينها ووعيها القومي وفنها وأسس ثقافتها .

الشكل القومي للسلوفان الشرقيين

يعتـــبر الشـــكل القومـــي مصطلح شرطي وذلك لارتباطه بمفهوم الفردية القومـــية حيث إن سراي فردية لا يفهم إلا من خلال الناحية العقلية ولكنه من نفس الوجهـــة يعتمد بشكل كبير علي إدراك الناحية الروحية لأنه في أي شكل كان هناك جانـــب دائمـــا لا نســـتطيع فهمـــه أو إدراكـــه إلا بالروح حتى أن الكاتب "هتشيز Hutches" قـــال فـــي إحدى كتاباته "لا يمكنك أن تفهم روسيا بعقلك فقط" وصرح "Berdiayes" إذا أردت فهـــم روسيا سيكون ضرورياً عليك إعمال مبادئ الأخلاق والإيمان والأمل والحب"

وكتـــب أيضـــا عـــن الشعب السلوفاني "إنه شعب سيحرك ناره ويصيبك بالإحـــباط تارة لأنهم السبب في إثارة مشاعر الحب القومية ومشاعر الكراهية في نفس الوقت وبنفس القومية"

ويمكـــن مقارنة الشعب الروسي بما يتصف به من تناقض وتعقيد بالشعب الـــيهودي فقط " وليست مصادفة هناك أن يكون لدي الشعب الروسي وعي مسيحي قوي جداً .

ونجد أن تعمقنا في السلوفان قليلاً أن هناك صراع دائم ولكن بشكل محترم وهـــذا الصراع في الشكل القومي وذلك لكل من الروس والأوكرانيين والبيلاروس وتحديـــداً أكـــثر بيـــن الشرقيين والغربيين منهم وأدى هذا الصراع إلى وجود عدم انسجام في الروح الروسية ولكن بدرجات متفاوتة .

ويقـول عـالم الاجتماع "روسى أويكى" وهو أيضا متخصص في الشئون السياسـية والفلسـفة "أن الشعوب الإسلامية بعد الثورة ضمت إلى العناصر الثلاثة للشعب الروسي وهم الروس العظماء "كما يلقبون أنفسهم" والأوكرانيين والبيلاروس بالإضافة إلى المجموعات العرقية التي تنتمي إلى الأمة الإسلامية .

إن تاريخ الأمة الروسية يشغل فترة زمنية تزيد علي ألف عام وهنا سوف نذكر خمـس فترات رئيسية نرى من وجهة نظرنا أنها من أهم هذه الفترات في حياة هذا الشـعب حـتى نستطيع أن نتخيل كيفية تطور الشخصية القومية الروسية أو تطور شكل الشعب الروسي علي الإطلاق هي الفترة الأولى .

أولاً : الفترة الأولى: نوفى جورد "كييف" "Nove gord kiev" حيث لم تكن مدينة نوفـى جورد "Novegord" مغلقة عن العالم . حيث كانت مدينة "Kiev" هي المدينة السياسية وكانت معقلاً للسياسيين والتجار بمدينة "Nove gord" واعتبر كلا الاثنين أنفسهم أوروبيين واعتبروا روسيا واحدة من أكبر دول العالم .

ثانـياً : الفـترة الثانـية: وهي فترة التتار وهذه الفترة كانت اقل أهمية من الفترة الأولي وذلك لأنها لم تكن إيجابية التأثير مثل المرحلة الأولي علي الرغم مما خلفـته مـن خـراب ودمـار وأعمـال سلب في الأقاليم الجنوبية والوسطي بينما كانت هناك نهضة اقتصادية في الأقاليم الشرقية الغربية بزعامة مدينة " Nove gord" والشيء الإيجابي في هذه المرحلة هو التفاعل بين الخلاق بين الـثقافة الشـرقية القادمة من شرق وأواسط أسيا وبين الثقافة الروسية وأيضا سـاهم هـذا الغزو في نمو روح القوة والقومية لدي الروس أثناء دفاعهم عن قيمهم الدينية والأخلاقية والقومية .

ثالـثاً : فـترة أو مـرحلة موسكو وضم الأراضي المعزولة حولها حيث كان لهذا أثر إيجابي حيث تم ربط هذه الدول الممثلة لروسيا الكبيرة ببعضها عن طريق ضم

هذه الأراضي وشهدت هذه الفترة صوراً ناصعة لعدد من الملوك ولما شيدوه وقاموا به من أعمال .

مـــثل: "إيفـــان جـــروزنى "Ivan Groznyi" الكـــيس ميخاييلوفيـــتش "Alxi Michailovich" ولكـــن رغـــم هذا التوسع فإن هذه الفترة كانت فترة سيئة وذلك عندما تضخم الحكم وزادت سياسة للاستقلال بين هذه المقاطعات بأمرائها .

رابعـــاً : وهـــذه الفترة الرابعة من أكثر الفترات تأثيراً في الشكل القومي الروسي وتسمى هذه الفترة بفترة "بطرسبرج "Petersburg" وأهميتها ترجع في المقام الأول لأن الشعب الروسي استطاع أخيراً أن يعبر عن نفسه فكراً وصياغة بعد فترات طويلة من التشتت وعدم الوضوح . والشيء الغريب أن ذلك حديث في غياب حرية السياسة الداخلية ولن الروس ولكن للسلوفان تمتعوا بحرية سياسية غـــير مسبوقة بعد إصلاحات بيتر Peter وانفتاحه غرباً نحو أوروبا . ومن الذيـــن عبروا عن تلك الحرية في البناء والثقافة لهذه الأمة ومن أمثال "هينسن Henzen" و "بوشيكن Pushkin" و "جوجل Gogo" و"شيفسكي Shevckyi" فـــي أوكرانـــيا و ترجينـــيف Tugenev" "ديستوفسكي Dostoye vski" في روسيا .

خامساً : الفترة الخامسة فترة السوفيت هذه الفترة مشابهة للفترة الثالثة ولخصائصها ونفس النظام الشمولي "الذي يسمي الآن بالنظام الشيوعي وحالياً نفس النزوع إلـــى سياســـات الاستقلال "وهو ما يسمي الآن بالمعسكر الاجتماعي المعرض للعالم"

وسادت أيضا في هذه الفترة خصائص عدم الانسجام ومما سبق نري أن تاريخ الأمـــة الروســـية من التواريخ ذات الأحداث المختلفة والمضطربة ومن خلال هذه الصعوبات والآلام تكونت الشخصية القومية الروسية وتكوينها بكل جوانبها للسلبية والإيجابية .

الاختلافات بين السلوفان الشرقيين

مر السلوفان الشرقيين خلال فترات تاريخهم الطويل بتجارب من النزاعات المتضاربة والتي انعكست بالتالى علي الثقافة واللغة وشكل الحياة ونمطها فإن حياة الروس والأوكرانيون والبيلاروس مثار للجدل من حيث شكل استقلال هذه الشعوب وشكلها القومي لكن ذلك ليس هدفنا الآن .

والآن دعونا نستخدم صيغة العالم الروسي الأمريكي "Sorokin. P" والتي تقـرر انه لا أحد من هذه الشعوب كانت له قومية أو دولة قوية خلال ألف سنه من تـاريخ وجـود السلوفان الشرقيين وعلي الرغم من وجود اتجاهات معادية لروسيا بشـكل حـاد من ناحية البيلاروس والأوكرانيين ومن هذا كله تكون الرأي العالمي الذي ليس من الصعب تجاهله وهي أن هذه الشعوب الثلاثة هي نماذج للمجموعات العرقية التي توجد في أمه واحدة .

وعلـي سـبيل المـثال فإن الإنجليزي "Baring. M" يعتبر أن الروس والأوكرانييـن الشـماليين لهـم طبيعة واحدة وأن الروس الجنوبيين يتشابهون مع الإيطاليين مـن سـكان مديـنة ميلانو وصقلية وأما أغلبية الروس العاديين فانهم مهملـون وغـير مهتمين بالمشاريع والأعمال مع أن لديهم عقل نشط وخيال واسع لكـنهم أقل إيجابية وأكثر فردية . بينما يتميز الروس الأصليين أو ما يطلقون علي أنفسهم الروس العظماء بالميل نحو التعاون .

أمـا بالنسبة للقبائل السلوفانية التي ينتمي إليها الروس العظماء المضاف إليها أو المختلط بها دماء "Fins" (لكنهم ليسوا من التتار ولكن كان التتار أثر كبير علي روسيا من خلال اختلاط الدماء) .

وتجـدر ملاحظـة أن الأوكرانييـن والبيلاروس لم يتجنبوا الآثار السلبية للتتار علـي حـياتهم وثقافـتهم ووعـيهم السياسي بشكل عام لذا فإن الشعبي الأوكراني والبيلاروس وفقاً للمعايير التاريخية قد عانيا من الاستعمـار بشكل كبير وذلك لأن

الإقليم الذي عاشوا فيه وجيرانهم وجزء من دولة بولندا كان خاضعاً للاستعمار وهناك جزء كبير من البيلاروس يقدرون أثر دور ليتوانيا بالنسبة للروس في ذلك الوقت (الأوكرانيون من إقليم داكرباتي) ويشير الفرنسي (Lerois Bdier) في الجزء الأول من كتابه عن روسيا إلى أن الروس العظماء والعاديين "قبائل الشمال والجنوب" ينتمون إلى أمة واحدة يكمل كل منها شخصية الأخر ويقول أن هذه الوحدة هي التي تصنع عظمه الأمم ويعتبر الفرنسي "Lerios Bdier" أن الانفصاليين الأوكرانيين يجب أن يفهموا أن تقسيم القبائل الروسية إلى دولتين سوف يؤدي إلى فقدان مغزى وقيمة الشعب الروسي في نظر التاريخ .

وهذه هي وجهة نظر علماء الأعراق وهي لا تتفق مع وجهة نظر السياسيين والعسكريين الغربيين ولكنها ذات مغزى ودور كبير في فهم علماء السياسية الجغرافية الغربيين ولكن هذا ليس الهدف من موضوعنا الآن .

إن موضوع التجاذب المتبادل بين الشعوب التي تنتمي إلى جنس واحد هو ما أشار إليه عالم السياسة والفيلسوف "George Fedotov" الذي يعيش في المهجر في كتابه الروس الجنوبيين "الروس العاديين" .

حيث يقول "أنهم كانوا عبارة عن قبيلة كونت الدولة الروسية وكانوا يطلقون علي أنفسهم أسم الروس الأوائل أو رقم "١" وذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر وإذا نظرنا في موزايك كنيسة كييف وجدنا أنه مشتق من جذور مدينة موسكو ليس هذا فقط بل أيضا بعض المنتجات الأوكرانية الأخرى وأكاديمية كييف التي كانت النواة لتأسيس الكنيسة الروسية وأيضا بالنظر إلى الأغنية الأوكرانية التي تعتبر الأخت الصغرى للأغنية الروسية .

وفي ظل الصراعات السياسية التي تهدف إلى الاستقلال وأيضا الدفاع عن فكري روسيا العظمي وسبب وجود أوكرانيا تحت الحكم الروسي فيكون من الصعب

خلط الهدف الروسي مع هدف روسيا العظمي لتدمير روس آخرين وهم الروس العاديين .

وهنا تبرز الثقافة مره أخري ويبرز دورها في حماية وحدة الروس العظماء والعاديين وذلك عن طريق الصلة القوية بينهم وهي الإيمان . وحتى وإن كانوا ينفصلون عن طريق اللغة فللأوكرانيين لغتهم وللروس لغتهم ولكن يظل اسم موسكو يربطهم .

لم يقم للطرفين الروس العظماء والروس العاديين باتخاذ خطوة الانفصال ولكن الروس العاديين لم يكونوا مضطرين علي الوحدة لهذا فقد تم الانفصال ولكن تظل القوة الدينية في أوكرانيا مرتبطة بالكنيسة الروسية . "ولابد لنا أن نلاحظ هنا أن الشعب الروسي بكامله يجب أن يضطر إلى فعل الأشياء لا أن يفعلها طواعية" .

وللأسف فالمشكلة التي تكلم عنها "Fedotov" منذ ما يزيد علي نصف قرن لا تزال مشكله قائمه حتى الآن .

والاختلافات في الشخصية القومية الروسية مثال واضح لأي دولة متعددة لأقاليم فقد قبل الروس حياتهم علي أنها خليط بين عادات الشرق والغرب وظهر هذا جليا في شخصيتهم القومية .

فقد شكلت المصادر الطبيعية والأراضي الشاسعة التي احتلتها السلوفان مدي سعه وعظمه الروح الروسية واندفاعها الأبدى نحو الخلود "كما يتصورون" وإذا كان الأوروبيون الغربيون هم أهل الثقافة و القانون فإن الروس كما يطلقون علي أنفسهم أهل الوحى وإذا كان الأوروبيين هم الذين اخترعوا الأرستقراطية والمجتمعات البرجوازية فإن الروس كما يقولون عن أنفسهم لم يقعوا في هذه الغلطة ولم تقم هذه المجتمعات في دولتهم .

وبما أن الروس ينحدرون من أصل ينقسم إلى شقين أو أصلين فأنهما يؤثران في الشخصية الروسية الإجمالية حيث أدت هذه الخصائص المتغيرة إلى

التباين في تلك الشخصية والمثال على هذا الأشياء متباينة التطبيق في الشخصية الروسية مثل الحكم الشمولي والحرية والقوة والعطف والعقلانية القديمة والبحث عن الحقيقة والجماعية والوعي بالفرد والقيم الدينية والقومية والعالمية .

لذلك فإن تاريخ السلوفان القديم والروح الروسية أدي هذا إلى تكوين الشخصية الروسية القومية بازدواجيتها أو بثنائية الشخصية الموجود الآن ونحن لا نسعى إلى تعريف هذه الشخصية لأن مثل هذه المحاولات قد تؤدي إلى تشويه ما نحاول عمله لكننا سوف نلقي الضوء على بعض خصائص تلك الشخصية . لنقدم صورة عن الشعب الروسي .

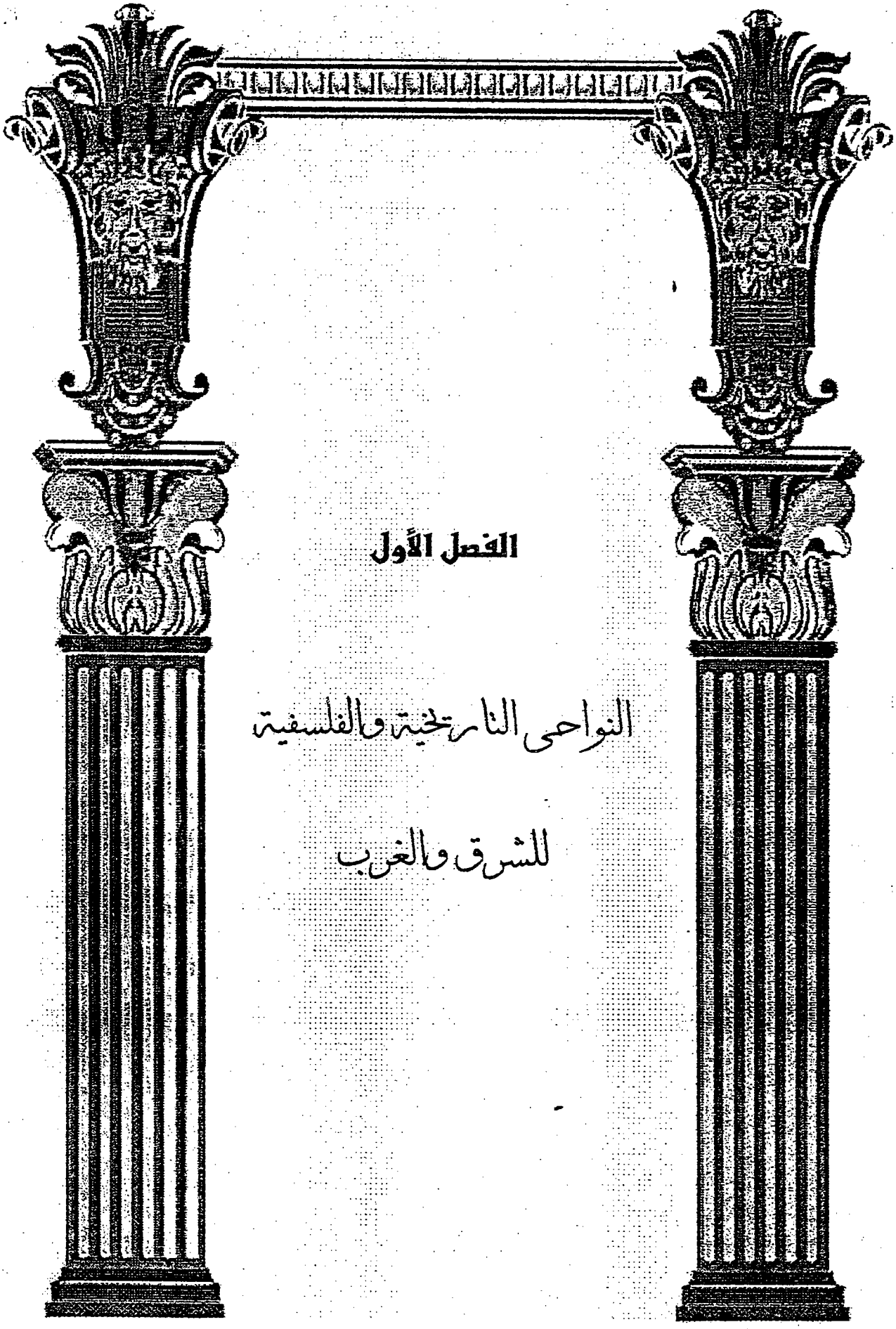

الفصل الأول

النواحى التاريخية والفلسفية

للشرق والغرب

النواحي التاريخية والفلسفية للشرق والغرب

لقد سبق أن ذكرنا أهمية التفاعل بين الشرق والغرب داخل روسيا حيث كان لذلك أثره علي المفكرين في روسيا . حيث رأى بعض المفكرين أن المستقبل سوف يكون لروسيا التي يغلب عليها الطابع الغربى بينما كان هناك فريق آخر من المفكرين ضد كل ما هو غربى وكان موقفهم علي النقيض تماماً وفريق ثالث كان يبحث عن صيغة ما للتوافق بين الصيغة الشرقية والغربية . وقد قال بعض المفكرين أن روسيا تعتبر شبه قارة وهي خليط بين الشرق والغرب وتنتمي لكليهما.

أما بالنسبة للفريق الثالث فإن المفكر"Chadeav" له تعليق علي هذا الموضوع حيث قال إنهم يقولون أن روسيا لا تنتمي إلى أوروبا ولا إلى أسيا ولكنها عالم خاص بذاته . ونحن في حاجه إلى تعريف جديد إذا كان النوع البشري يتم تعريفه بالانتماء إلى الشرق أو الغرب فإننا في هذه الحالة أمام تصنيف ثالث .

كانت هذه الآراء الثلاثة موجودة في روسيا أثناء مراحل تطور الدولة سواء بشكل قوي أو ضعيف ولكنها كانت موجودة جنباً إلى جنب . وبدأت مراحل التقدم من ناحية الشرق الروسي "روسيا القديمة" مع نهاية القرن العاشر عندما أدرك الأمير فلاديمير "Vladimir" أن الجو الديني الذي يعيش فيه السلوفان والفارنجيون لا يتناسب مع طموحاته في فرض سلطته وتكوين دولة مركزيه وبدأ في دراسة المسيحية الغربية والمسيحية البيزنطية والإسلام وخلص إلى نتيجة تبعاً لما أرادته جدته الأميرة Olga والتي حاولت من قبل تعميد أبنها "Svyatoslav" والد الأمير "Vladimir" وهذا الأمير "Svyatoslav" لم يستطيع الوقوف ضد القوات المسلحة الروسية التي أحكمت الخناق علي الفارنجيين ولكن عندما أتي الدور علي ابنه "Vladimir " أن يختار بين الشرق والإسلام والغرب "المسيحية البابوية" اختار البديل الثالث وهو المسيحية البيزنطية والتي سرعان ما حدث انقسام بين الكنيستين وعندما دخلت القوات الإسلامية إلى الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية علي يد السلطان محمد بن مراد الفاتح توقف عملها ودورها كقلب للعالم الأرثوذكسي .

وقامـــت روســـيا بهذا الدور وبدأ إعلان موسكو علي أنها الدولة الرومانية الثالـــثة . والذي أدى إلى ذلك عدة عوامل أغلبها رمزى ومعنوى . حتى أن الطبقة المـــثقفة الأرثوذكســـية والقساوسة البيزنطيين تحولوا إلى موسكو . وحتى القوات البيزنطية وبعد حيرة كبيرة وبعد إمعان النظر طويلاً إلى الشرق تارة وإلى الغرب تارة أخرى أصبحت في النهاية قوات موسكو بالوراثة .

وبعـــد المشـــهد الدرامي السابق الشرق أم الغرب وبعد الإصلاحات التي شهدتها الكنيسة بواسطة البطريرك "Nickon" كان هناك جزء من الشعب الروسي تحـــت قـــياده القس "Awakum" وزوجته "Boyar Marozova" والتي رفضت الطقوس الأرثوذكسية التي كان يؤديها الرومان الأصليين وحدث انقسام بين القدماء والمنشقين مما أدي إلى تحول هذه الدراما إلى مأساة .

السلوفان والمستغربين

لقد أدت الإصلاحات التي قام بها بطرس العظيم "Peter" كما يلقبونه إلى حـــل مشكلة الشرق والغرب وكان معظم المثقفين والحزب التقدمي الذي ينتمي إليه المجـــتمع الروســـي مستغربين يعيشون الحياة الغربية بكل خصائصها وسماتها في النصـــف الأول مـــن القـــرن الثامن عشر واتجهت الحركة الروحية الروسية إلى الغـــرب أيضاً وكان معظم الكتاب الروس والمفكرين ينتمون إلى الغرب بالإضافة إلـــى رمـــوز الـــثقافة والسياســـة . وبالـــرغم من التقدم من جانب كاترين الثانية "Catherine II" تطـــورت الحـــركة الماســـونية وأثرت تأثيراً كبيراً علي الحفيد المفضل للإمبراطور أليكسندر الأول .

وتطـــورت الماسونية إلى جانب الفكرة بأن روسيا الدولة الرومانية الثالثة والتـــي تم تكوينها في القرن الرابع عشر وكانت تنطوى علي مقاومة لكلا النزعتين السلوفان والمستغربين . وكان علي رأس المستغربين الكاتب "Chadeav" الذين

أصـــابهم الإحباط في روسيا بينما كان السلوفان من أمثال "Herzen. A" أصابهم الإحباط في أوروبا وفي كل الأحوال لا يمكن اعتبار أحدهما محركاً للأحداث .

وقـــد كـــان "Peter Chadeav" الذي اعتبره الملك "Nicolai" مجنونا بسبب أفكاره الغير وطنيه التي تضمنها كتابه "رسائل فلسفيه" وكانت وطنيته مساويه لصديقه "Pushkin. S. A" لكنه فكر كثيراً في كيفية أن تتفادى روسيا الخطوات الخاطئة في طريقها نحو المستقبل حيث كان هناك العديد من تلك الخطوات الخاطئة ولقـــد سخر ذات مرة من أن روسيا توضح للشعوب الأخرى كيفية تفادى الخطوات الخاطـــئة في طريقها نحو المستقبل بينما كان يرفض حق الروس في الانتماء إلى الشـــرق أو الغرب . وأيضا لا يعتبر أن شكل الحياة الاجتماعية في بعض النواحي مـــع الحياة الاجتماعية في المجتمعات الأوروبية مع أن الحياة في أوروبا هي التي سوف تشكل وجهتنا في المستقبل .

وفـــي كـــتابه "مقتطفات من أقوال مجنون" نجد "Chadeav" يجادل من يـــتهمونه بعدم الوطنية ويفند ادعاءاتهم ويقول أن حب الأرض والوطن ألام يعطى دفعة ويعطي الفرصة لظهور الأبطال وأن حب الحقيقة يخلق الرجال الحكماء . وإن حب الأرض الوطنية يقسم الشعوب ويزيد من الكراهية بينما حب الحقيقة يؤدى إلى توزيـــع ونشر المعرفة وأخيراً يقول أن الطريق إلى الجنة يكون عبر حب الحقيقة وليس حب الأرض .

ولقـــد انقسم المستغربين من بعد " Chadeav" وأصبحوا جماعات للعنف وثـــوار أمـــثال "Belinski, Pisarev, Chearnysevski, and Lenin" وليبراليـــن مـــن أمـــثال "Kavelin, Chicherin and. struve" وفـــي نفـــس الوقـــت كـــان الســـلوفان ممثليـــن معتدليـــن مـــن أمـــثال " , Homyakov.A Kireyeveski.I , Toltoi.A.K" وكـــان مـــن بيـــنهم أصـــوليين مـــثل "Donilevski.N , Leontiv.K" .

وكـــان مـــنهم المتناقضـــين مثل "Harzen" فهو من أول من أعجب بالغرب وبهذا يعتبر متناقضاً مع ذاته .

كذلـــك كانـــت نمـــاذج الثوريين الذين ربطوا روسيا بأوروبا عن طريق وسائلهم الخاصة .

لـــم تتم الاستمرارية لأفكار المستغربين والسلوفان في الدولة التي تخضع لسيطرتهم ولهذا لم تأخذ أفكارهم الشكل العلمى لكن ظلت شخصية الروس الأسيوية الـــثوار وعـــيون التـــتار و النمط الألمانى الذى تميز به "Bolsh Eviski" . كان المجتمع الروسي خليطاً غريباً عجيباً .

ولقـــد رفض السلوفانيون الليبراليون على حسب قول "Leomtive. K" بينما يرى رأى البلشفيون واللينينيون أن الليبرالية تجعل الحياة أفضل وتخرج أجيالاً أكثر علماً وثقافة . لقد قاوم البيزنطيون ذلك وللكنيسة وبقية طبقات المجتمع ولكن تم اســـتبدال الملكـــية بحـــركة القـــائد والكنيسة بشيوعية لينين الشمولية، بينما يرى " Leomtive" أنه يمكن وقف الليبرالية عن طريق توحيد روسيا مع مسلمي الشرق وأيضا مع الهند والصين وعن طريق التوسع السياسي في الشرق الأدنى وكل هذه سوف تكون الوسائل لنقل روسيا إلى مرحلة تاريخية أخرى .

ولقـــد حاول كل من "لينين" و "ستالين" تنفيذ هذه الفكرة من خلال العالمية الثالثة أو المعسكر الشيوعي ولكن تم تغييرهم إلى الرومانية الثالثة .

حركة العودة إلى التربة .

كانـــت هـــناك ظاهرة في روسيا في القرن الرابع عشر ألا وهي عبادة الدوائر المـــتعلمة فـــي المجتمع "المثقفين" وكان ذلك بالنسبة للناس العاديين ولتكوينهم وفي مجتمع المثقفين وبينما وجدت هذه الظاهرة بيئة للتعبير عن نفسها كانت عبارة عن حركة العودة إلى التربة، ظهرت هذه الحركة المنشطة وانتهت قبل ظهور "حمامات الدماء" التي أعدتها جماعة المختارين أثناء وقت الثورة . كانت هناك حركة أخرى

تعتبر حركة عرقية تسمى "Narodnic Mov" تعنى حركة" شعبية" لم تعرف هذه الظاهرة في ذلك الوقت في شعب آخر .

كان المثقفون يغادرون البلاد ويصبحون أطباء ومدرسين ومتخصصين في الزراعة وكانوا يحاولون جلب أفكار التعليم للفلاحين البسطاء ، وأصبح واضحاً أن الفلاحيـــن البسطاء لا يفهمون هؤلاء المثقفين ولا يلتقون بهم ولا يستمعون لخطبهم لذلـــك تفرقت هذه الحركة وانبثقت عندها الحركة النهيلية وبذلك حركة S. R. S (الاشتراكيين والثوريين والماركسيين)

كلمـــة النهيلييـــن مشـــتقة من الكلمة اللاتينية لاشيء أو Nothing وكانوا يوصـــفون للمـــرة الأولى بلقب (أباء وأبناء القصة) وكان أعضاء هذه الحركة من المثقفيـــن الذيـــن مـــن طبقة أخرى وفي بعض الأحيان من طبقات نبيلة والمعجبين بالعلوم الإيجابية (التطبيقية) التي لها فائدة تطبيقية مثل (الطب – الهندسة – العلوم الزراعـــية والبيولوجـــي – إلخ) لقد تميزوا بموقفهم الإيجابي تجاه الثقافة ورؤيتهم الحقيقـــية لمهنة الزراعة ورصيدهم الاجتماعى الهائل ومع ذلك كان النهيليين أمثال "Pisarev, Chernyshevski, Shelganov" أصـــبحوا خلفـــاء المجوعـــات الإرهابية للحركة السابقة وقاموا بنفس أفعال "Karacozov , Ulynov.A" وأفعال الماركســـيين الثوريين "Plehanov , Ulynaov , Junior , Lenin, etc" لهذا السبب هناك شك كبير أن الحركة البلشفية هي تطور وامتداد للحركة الماركسية في روسيا – لأن ماركس و إنجلز في مراسلتهم إلى "Nardioonic Mihailouski" والشـــيوعي "Thachev" تبيـــن هـــذه المراسلات أنهم يتشابهون بشكل كبير مع " Mensheviks" أكـــثر مـــن التشـــابه مـــع "Lenin" لذلك هناك تشابه كبير بين البلشـــفية والنهيلـــية . إن مفهوم الماركسية كان قريبا جداً من مفاهيم أشخاص مثل "Steuve, Martov وربمـــا "Plehanov" ولكـــن لم يتشابه مع أفكار " Lenin, Troxki, Stalin" لأن S.R يعتـــبرون حلفـــاء للبلشفية فقط في المراحل الأولى للثورة .

إن السـعداء للملكية والديمقراطية والبناء الأخلاقي للبلشفيين ممزوجاً مع تطلعـاتهم نحو السلطة والديكتاتورية واستخدام العنف مع جماهير الأغلبية أدى إلى نهايتهم وابتعادهم عن أقرب حلفائهم .

أصول الفلسفة الروسية

إن تطـور الفكـر في روسيا كان شيئا لم تعتاد عليه أوروبا لذلك تركت الـتجربة الفلسفية الروسية تحاول إثبات ذاتها . وكان أولاً: غياب الحرية والتعبير عـن الـرأي . ثانياً: قوة الدولة وسلطتها التي حولت الكنيسة إلى قسم من إدارات الدولـة، هذين العاملين يعتبران هما المرجع لذلك فإنه منذ نهاية القرن الرابع عشر إلـى بدايـة القرن العشرين في روسيا لم تكن هناك أسماء عظيمة لفلاسفة أمثال : تيتانزود يستوفكي وتولستوي الذين تحولت أفكارهم الفلسفية إلى أعمال علمية وكذلك أعمال أدبية، على الجانب الأخر غياب أي نوع من المناقشات أو الحوار في الأدب كل ذلك حدد الشخصية الدينية في الفلسفة الروسية . لذلك أثناء فحص تاريخ الأفكار الفلسـفية فـي روسـيا يجـب علينا أن نذكر أسماء أخرى بجانب أسماء الفلاسفة المشهورين الذين ظهروا في نهاية القرن الرابع عشر أمثال: .

Caadeeev, A.Homyakov, I. kireyves , Kkavelin , F. Dostoyevsk , N. Chernychevski , D. Pisarev , I. Tolstoi , V. Rozanov , D,Merezhkovsi ,

وآخرين .

كـان الفلاسـفة تطـوراً للمفكرين أثناء الفترة ما بين القرن الرابع عشر والقرن العشرين من أمثال بدءاً من إلى **Plehamov, A. solovyov, G. V"** . **Losski. Losski, Franks N. Shostov N. Wedemskis, L** . يعتبرون جزءاً لا يستهان به وهم الذين عاشوا حتى ثورة أكتوبر ١٩١٧ .

وتعتبر قائمة الأسماء التي ذكرناها عن الفلاسفة الروس لنصل إلى النتيجة النهائية أن الغالبية من هؤلاء المفكرين والفلاسفة ينتمون إلى الفكر الديني .

وعلـــى الرغم من ذلك يشير "**Nicolai Berdyayeu**" في كتابه "الفكرة الروسية" إلى أن الاتجاه الديني كانت له مكانة ثابتة في كل الحركات التي ذكرناها بما فيها الحركات الغير دينية ويشير إلى جانب التوحيد بشكل أكبر .

حتى ديستوفكي لاحظ أن الاشتراكية الروسية هي بحث عن الإله والخلود لذلك تصل إلى أن السمة الأساسية للفلسفة الروسية هي الفكرة الدينية . إن الفلسفة الروسية التي تغلب عليها الفكرة الدينية كانت واضحة وملهمة لغير الوجوديين لأن ديســتوفكي عــالم الميتافيزيقا الروسي العظيم كان مفكراً وجوديا عظيماً وإذا كان الأسباني "**Miguel Clnamama**" قال عن كل الفلاسفة الأسبان تحصر خلاصة فكــرهم فــي الفيلســوف "**Donquigote**" فإننا نستطيع القول أن الفلسفة الروسية تنحصر في دستوفسكي، ولأن الفلسفة الروسية هي فلسفة دينية فإن المشكلة الوحيدة وهــي اللادينــية وكذلــك مشــكلة وجــود الشــر هــذه الفكــرة أزعجــت " **Belinski,Herzem, Bakanin, Homyakov, Dostoyeuski, BerdyeyeV**" ولكــن الحركة الوحيدة التي لم تزعجهم هي الحركة البلشفية وذلك بسبب الرغبة في الخلود .

تطــورت الفلسفة الروسية بعد عام ١٩٢٢ مرحلة مغادرة الفلاسفة الروس لروسيا وتمت هذه الحركة تحت الأرض أما بشكل سري أو في المهجر .

ارتبطت الماركسية بالفلسفة بشكل عام .

وظهرت فرصة في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين لنمو وتطور أكثر للفلسفة الروسية وبطريقة مباشرة في روسيا .

طبقة المثقفين و الفكرة اللبرالية

إن مصـــطلح أو فكـــرة المثقفين أو "Intelligen tsia" هي كلمة روسية خالصـــة وليســـت مـــترجمة إلى اللغات الأوروبية وهذا هو سر أنها كلمة روسية أصلية . وتفهم من ذلك أن عملية التطور في روسيا هي عملية روسية لم يكن لديها طبقة مثقفين إلى أن قام "Peter" بعملية الإصلاح .

بدأ ظهور طبقة المثقفين في روسيا في نهاية القرن الثامن عشر ولقد بدءوا في الظهور كطبقة مثقفين في القرن الرابع عشر وقدمت هذه الطبقة نفسها على أنها طبقة روسية أصلية وتكوين اجتماعي روسي "الخصائص الأساسية للمثقفين الروس" هي :

تشـــكيلة كبيرة من الأصول الاجتماعية تبدأ من الطبقة الأرستقراطية إلى طبقة رجال الكنيسة، كراهية أي نوع من السلطة، معارضة المجتمع للدولة، العبادة وعقدة الدونية في التعامل مع الناس العاديين، ميل غير مبرر نحو العالمية، الموقف الـــبارد تجـــاه الواجـــبات الرسمية، مستويات تعليمية عالية واسعة المعرفة، جذب العشائر إليهم وحب الجدل والمناقشات الطويلة. الإلحاد مختلط مع التعصب الديني ورفـــض أفكار المجتمع السائدة كانت طبقة المثقفين من النبلاء الأغنياء والمدرسين الفقراء وأطباء القرى والمهندسين والموظفين والعمال المتعلمين والفلاحين .

لقـــد نظمت الثورة البلشفية هيكل طبقة المثقفين لقد أصبحوا الآن مثقفين بالعمل ولـــيس بشـــكل معـــنوياً فقط ، وأصبح المثقفون خدام مدنيين للدولة والموظفين في التخصصـــات العلمية والثقافية ومهندسين وأطباء ومدرسين . وكما نرى فإن طبقة المثقفيـــن في روسيا تختلف عن طبقة المثقفين في البلاد الأوروبية الأخرى، حيث يعتبر الأوروبيون طبقة المثقفين هم أصحاب عقلية وأفكار نحو الليبرالية وهي طبقة تختلف عن طبقة السياسيين أما في مجال العمل فهم طبقة ذات تخصص عالى وفي المهن الحرة يمكن اعتبارهم مبدعين على مستوى عالى ، المثقفون يختلفون عن

الأطباء ومعظم موظفي البنوك ، لأنهم يعملون في تخصص ضيق ومن الممكن أن نطلق عليهم خبراء وليس مهماً للمثقف أن يكون ملحداً (في معظمهم الأحيان يكون متديناً) يكون منفتحاً على العالم بشكل متوسط .

المثقف ضد العرقيين، ويمكن عن طريق الأصل أن يكون منتمياً لأي طبقة من طبقات المجتمع وغالباً ما يكون من أبوين متعلمين .

يعتبر أعظم أعمال المثقفين على مدى تاريخ روسيا هو المشاركة في الإعداد وتنفيذ الثورة .

مع ظهور طبقة مختلفة من المثقفين شباب صغير السن وفقراء من أصول منخفضة حصلوا على قدر معين من التعليم، أصبحت طبقة المثقفين ضد السلطة تماماً ومعارضة لها . كان المثقفون يؤمنون أن خدمة الناس تتمثل في العودة إلى الدين الأصلي بكل تضحياته .

هذا الدين الذي لا يحتمل أي عقائد أخرى وفي الغالب هو المسيحية .

لهذا السبب لا نرى في بيئة المثقفين أي ليبراليين أما عندما أعلن الليبراليون أنهم طبقة المثقفون في روسيا (مع الأخذ في الاعتبار بالخصائص المذكورة أعلاه) كانوا خاطئين تماماً، حيث كانت فكرة الليبرالية تتفق تماماً مع أفكار طبقة المثقفين في ضوء فهم كلمة الليبرالية .

بينما كلمة الليبرالية هي اشتقاق من كلمة الحرية، إن طبقة المثقفين في واقع روسيا وليس في الخطب والأحاديث هي نقيض للحرية . وفي الاقتصاد تعني أسلوب السوق مع أقل تدخل بغرض التنظيم من جانب الدولة، وفي السياسة تعمل معظم أحزاب الدولة وفقاً للقانون ، الليبرالية هي الحرية الشخصية للإنسان الذي يحترم حرية الآخرين وسيادة القانون ، النموذج للشخص المسيحي وعلاقاته المتبادلة مع المجتمع . بالتأكيد لم يستطع كل من: **"Belinski, Pisarev, Chernysheuski, Lenin"** إنكار إعجابهم بهذا النموذج المثالي إغراقاً في الفردية وبالنسبة لرجال

الدولـــة كانـــت تعتبر خطوة نحو الملكية، أما بالنسبة للمتعصبين كانت هذه الفكرة تعتبر لديهم كراهية الحرية نستطيع أن نرى طبقة المثقفين أثناء الثورة حيث أعجبت هـــذه الطـــبقة بالثورة وقامت بالإعداد لها بل وقامت بتدميرها كظاهرة اجتماعية، بالنســـبة لحاجـــات البروليتاريا فإن الثورة قد رفعت طبقة من نوع جديد هي طبقة العمال والفلاحين المثقفين .

وبالنســـبة لهذا النوع كان لا يمكن تطبيق شعارات "Petereuyazmsk" إلا أن المثقفين هم أنصاف متعلمين "حيث إن الغالبية من المدرسين الروس والأطباء والمهندسين كانوا من أنصاف المتعلمين . بينما كانت الصفوة من طبقة العاملين في مجال العلوم والثقافة غير مستملين في هذا التقييم .

بالتأكيد اقتنعت طبقة المثقفين الروس بفكرة الحرية الشخصية وبالتجمعات السياسية ولكنها لم تقتنع بتعاليم المسيحية . لذلك وكونها طبقة اجتماعية في التاريخ الروسي فإنها لم تكن منتجة .

حـــتى الخطوات التي أنجزت نحو تحرير المجتمع الروسي في الثمانينيات والتسعينات من القرن العشرين تمت دون مشاركة طبقة المثقفين .

روحانية الفلسفة

إن الســـمة الدينـــية فـــي الفلسفة الروسية ونشأتها من صميم حياة الشعب الروســـي الـــذي يحـــب التغلف أكثر من أي شيء أخر في العالم . كانت الفلسفة موجودة في الصالونات الروسية وهناك نموذج لحوار فلسفي بين رجلين أميين بعد تناولهما الخمر كان الحوار يدور عن الإله ومعنى الحياة والخير والشر .

إن السمة الروحية الغالبة على الفلسفة الحرة أثارت قلقاً شديداً لدى السلطة من اليمين ولدى العقلانيين والملحدين في اليسار .

واعتـــبرت السلطة التي انتابها الفضول أن العلوم الطبيعية هي مجال آمن على السلطة .

ويـــرى "Nicolaie" أن أول مرة يتم فيها تعيين أستاذ للفلسفة كان يتميز بجهل عام .

يتفق معه في نفس الرؤية النهيلستية والمادية الذين اعتبروا العلوم الطبيعية أكثر فائدة من الفلسفة في خدمة الناس والثورة .

أثناء فترة وجود "Nikalai" كان تدريس الفلسفة محرماً وممنوعاً .

وكان الوضع كذلك في فترات ظهور الاتحاد السوفييتي عند ظهور أي نظم فلسفية أو نزعات فلسفية كانت غالباً ما تتهم بالبرجوازية لأنها لا تتفق مع الأصول المادية .

ومن أبرز المواقف للشخصية القومية الروسية والعقلية الروسية التي تنشد الإيمـــان بالأمل الذي تتعانق فيه الحقيقة مع الواقعية لم يكن غريباً أن تختار الثورة الروســـية الأصـــول المادية أساساً لها وتختار التفسير البلشفي واعتباره الأيدلوجية الرسمية والدين الرسمي .

روحانـــية الفلسفية في جوهرها استمرت في التطور سواء تحت الأرض أو في المهجر لكنها أبداً لن تموت .

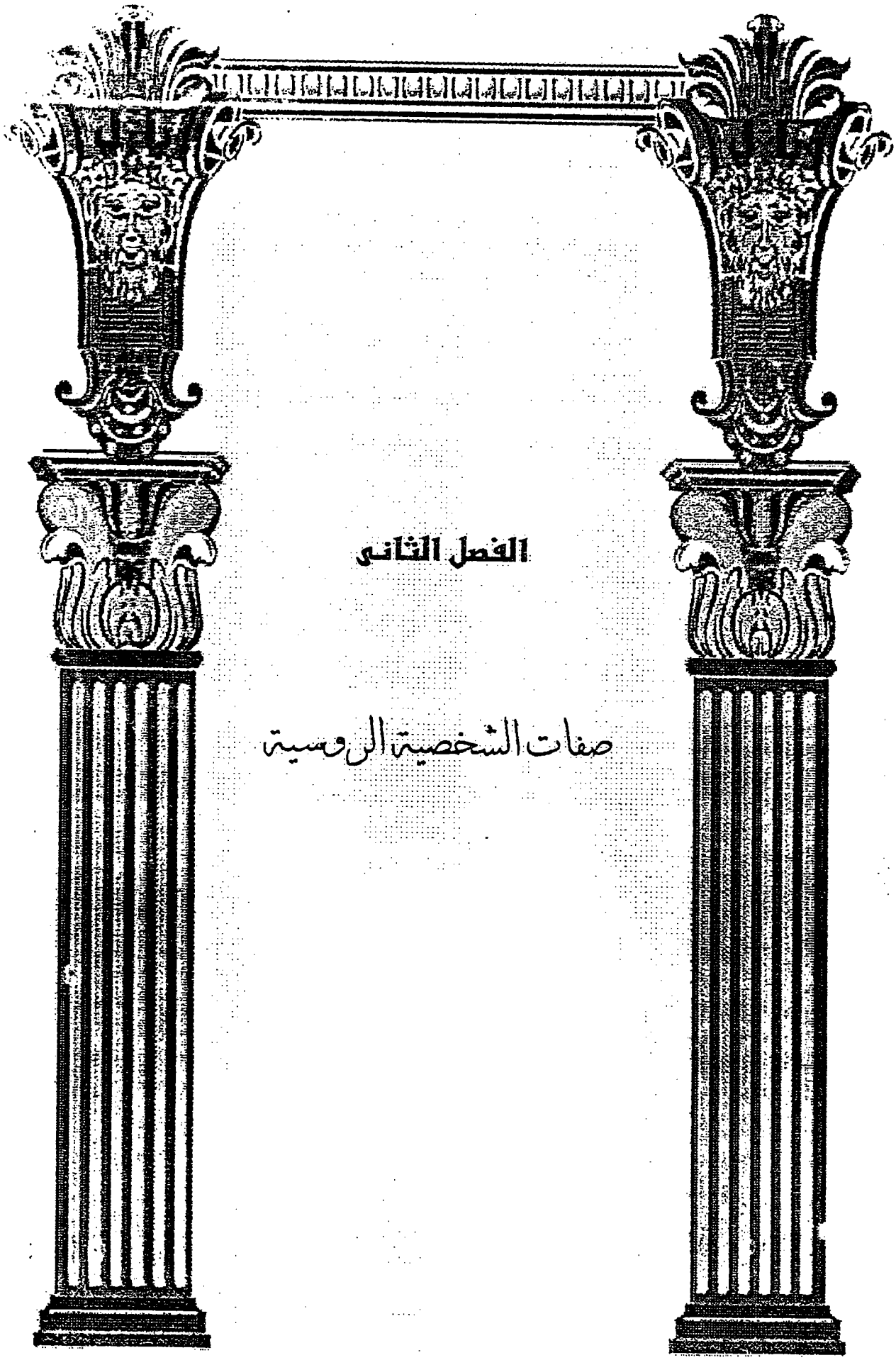

الفصل الثانى

صفات الشخصية الروسية

الإحساس والإرادة

إن نظرتنا للكون ترتبط ارتباطا مباشراً بسلوكياتنا غير أن هذه السلوكيات لا ترتـــبط بالكون فقط ولكن أيضا ترتبط بالقيم الموجودة بداخله فمن المستحيل أن تتصور سلوكاً ما في غياب ما يربطنا بالقيم الكونية ويعتبر الإحساس بالطبع مقياس لذلك حيث إن الإحساس حالة نفسية ذاتية موجهة إلى القيمة الموضوعية لشيء ما .

أما الإدارة فهي عادة ما ترتبط وتبدأ بالرغبة وعامة فإنها تسعى إلى شيء ما ذو قيمة بالنسبة لنا .

وبمعـــنى أخر فإننا عند استيعاب قيم موجودة "أي نستوعب أو نبتكر شيء ذو قيمة أو إيجابي" أو إزالة "أي الهروب" شيء ما سلبي :

وحيـــن نـــتكلم عن خصائص الإدارة أو بمعنى أصح صورة الإدارة لدى الشعب الروسي لا يمكننا أن نتجنب الكلام عن مشاعره وذلك لأن الإدارة القوية هي إحدى صفات الشعب الروسي ومن هنا يظهر الحماس الذي يتميز به معظم الروس الذي أطلق عليه أيضا الولع .

"والولع هو مجموعة المشاعر والضغوط التي تؤدي إلى القيم المحبوبة أو المكروهة وأعلى هذه القيم إحساس قوي بجلب النشاط لدى الأفراد أصحاب الإدارة القويـــة" وبالنســـبة للروس فإن حماسهم في الحياة العادية والسياسية متأثر بالجانب الديني إلى درجة كبيرة والتي تؤدي أحيانا إلى التعصب والتطرف .

وهكـــذا كانت عادة إحراق النفس عند راسكوليكين[1] وهذه ظاهرة واضحة نتيجة للحمـــاس الديني بل وأكثر من ذلك وكنتيجة لهذا التعصب نرى ظاهرة دفن النفس تحت الأرض بأن يقوم البعض بدفن أنفسهم تحت التراب ومن الأمثلة الأخرى

١- لوسكين ن.أ. صفات الشعب الروسي من كتاب "شروط الطيبة المطلقة موسكو ١٩٩ : ٢٦٣

قيام مكان مدينة سمولينسك بإغلاق الكنيسة وهم بداخلها خوفاً من البولنديين والكاثوليك وقاموا بحرق البارود داخل السراديب وفجروا أنفسهم "ولم ينج من هذا الغزو سوى ٨ آلاف شخص من أصل ٨٠ ألف شخص كما كتب المؤرخ سولوفيوف ومن المعروف لدى الروس شعور نكران الذات والذي ظهر خلال الحروب في حملات سوفوروف وتاتاليجين .

وكتب لويكن ن . أيضا عن قوة الإرادة غير العادية لدى الثوار حيث قال "يعود إظهار هذه القوة لدى سافنكوفا إلى تاريخ قديم ونرى أيضا تعصب لينين وعزمه الذي لا يلين في ذلك الشكل المتطرف ونرى مؤسسي الحكومة التوتاليتارية وتطرفهم والذي لم ولن يكون على وجه الأرض .

ومن هنا نرى الإدارة والحماس اللذان من الممكن أن يظهر بشكل إيجابي أو سلبي .

ولنأخذ بعض الأمثلة لشخصيات روسية .

فقد كان بروتويوب أوكوام زعيم حركة راسكول "حركة منشقة دينياً متطرفة نشأت في روسيا في القرن الثامن عشر" فقد كان شديد التطرف وفسر بأن ذلك كان لكي يكبح جماح شهوته وهذا ما ظهر عندما اعترفت امرأة سيئة السمعة بما كان يفعل . وهو نفس موقف الأب سيرجي بطل "ليف تولستوى" عندما قطع إصبعه كما أن ليف تولستوى ترك الذباب على وجهه أثناء عمله دون أن يحاول إبعاده .

كما اشتهر بطرس العظيم بإرادته القوية ونزواته الجامحة التي كانت تظهر كثيراً وكان نفس التعصب عند "ف .بليسنكي" "مزباكونين" ."سالفيكوف" – شيدرين . وهذا ما ظهر على أبلوفوف بطل قصة "جونتشاروف .ى الذي أصبح رمزاً للكسل

الشـــديد وعـــدد كبير من أبطال قصص دستوفسكي كان لديهم مشاعر قوية في أن يكونوا لاعبي ورق أو حتى يصارعوا الرب على حد تعبير دستوفسكي . وهذا إنما يعكـــس شخصـــية الكاتـــب نفســـه وذلك لأن جونتشاروف نفسه كان شديد الكسل "وديستوفسكي" كانت لديه رغبة شديدة إلى لعب الورق .

وقـــد عـــبر "تولســـتوى" عن حدود مشاعر الروس وقال "أن أحببت فحب بجنون وأن هددت فهدد بلا هراء وإن سببت فسب بغضب وأن قطعت فأقطع بقوة"

وقد كتب "جوجول .ن .أ" من هو الروسي الذي لا يحب الركوب السريع ؟

هل يقول روحه هي التي تسعى إلى الدوران والإنهاك في الملذات كل هذا إلـــى الجحيم ولكن هل روحه تحب ذلك ؟ ثلاثية طائرة وهل أنت يا روسيا تطيري مثل هذه الثلاثية ؟ يا روسيا إلى أين تطيري ؟ أجيبيني .

وقدمت روسيا الإجابة وقتئذ بأن اقتحمت المغامرات الخيالية وسببها إيمان متعصب للبلشفيين بأنها مملكة ربانية على الأرض .

الموقف تجاه الدين

يؤكـــد نيكولاى لوسكين في كتابة "صفات الشعب الروسي" أن الدين يعتبر صـــفة مميزة وأساسية في الشعب الروسي حتى أنه كرس فصلاً كاملاً له في كتابه ولكـــن تحت مصطلح إن الدين لا يفهم دائماً بالإيمان بالله وفي بعض الأحيان يأخذ الكفر الصريح شكلاً دينياً لديهم ويمكننا أن نوافق لوسكين في هذا الرأي بأن الشعب الروسي في أساسه شعب متدين في العبادة وفي البحث وفي فكرة تكوين الرب .

وقـــال "رايـــت" الكاتـــب الإنجليزي "أن الدين هو أساس الحياة في روسيا والاهتمام بالحياة السماوية وليس الاهتمام بهذه الحياة" .

وقد لاحظ ديجول ليجرا وهو أستاذ بجامعة السربون أن الروس شعب غير محب للنظام والطاعة من بين كل الشعوب الأوروبية ولكن لهم جاذبية غامضة نحو التفوق وهي تعتبر بشكل خاص نوع من التدين العميق أكثر أيهما عما في فرنسا .

وفـــي رأي العـــالم الألماني "أوناش" أنّ التدين وإدراك الحياة عند الروس يتميز بطابع خاص وضع في أساسه الحماس بالنسبة للقيم المطلقة وتغير العالم .

وقـــد ذكر العديد من الباحثين في القرن التاسع عشر أن الدين نشر بصفة عامـــة وبكثرة بين فلاحي روسيا وبدرجة قليلة جداً وجدت هذه الصفة مكانها بين ســـكان المـــدن أو المتمدينين الروس " وبالأخص النبلاء منهم" وذلك عكس ما كان يوجد في أوروبا .

وقد قال الإنجليزي "ستيفن جريجم" كان على علم جيد بروسيا ولغتها" "أن الحوار ينتهي مع الشخص الإنجليزي بموضوع عن الرياضة ومع فرنسي بموضوع عـــن المرأة ومع مهذب روسي بموضوع عن مستقبل روسيا ومع فلاح روسي عن الدين والرب"

ولكـــن بعد تعميم الوسائل التعاونية والقضاء على قلب طبقة الفلاحين في روســـيا لا نـــستطع الكلام عن قوة التدين في الريف وحتى قبل ذلك فقد كانت تظهر علـــى الروس أراء غير مسيحية في الدين وعندما نقرأ قصة شعبية مثل "أفاناسيه" التـــي تـــتكلم عن رجل قروي وقس فأننا نشعر فيها ليس بالكفر العفوي فقط ولكن بفساد حيواني أيضاً .

إن الكفر في طبقة المهذبين وعربدة القرويين هي مظهر التدين السلبي في فلسفتهم ومظهر انشغال البال بفكرة غير معينة في تحقيق ذنوب لا دينية هي أن الذي يجلب الخوف الخفي والعجرفة الجماهيرية و "سيرجي بيسنين" هو مهذب روسي جديد من طـــبقة الفلاحيـــن كان يكتب بروح الإلحاد والعربدة حيث يقول "سأنزع لحية الرب وأعيده بالسب" "حشا لله" ولكن الناس الأكثر ثقافة في روسيا لا يقلبـــــون تراث

بيسينين أما باقي الطبقات ابتدأ" من العاملين والأعضاء في المزرعة التعاونية الاشتراكية حتى المعلمين والموظفين لا يشعرون بالضيق من التلامس مع بيسينين ويعتبرونه الشاعر الشعبي الحقيقي .

حياة الشخصية الروسية

مما ذكر سابقا أصبح من المعروف أن الشعب الروسي على الرغم من اعتناقه المسيحية كان لمدة طويلة تحت تأثير الوثنية وكان قد اقتبس بعض عادات براوسيلاوية بها العديد من العناصر الوثنية .

وقد تمثلت العقيدة المسيحية لدى الروس بشكل واضح في الأسرة . وحتى بغض النظر في الفترات التي لم يعرف فيها مفهوم القديسة المرفوضة وقتها ليس بالشك فقط ولكن يمكن أن تؤكد أن مفهوم الأسرة لدى الروس أقوى من الأسرة الأوروبية الغربية .

وفي الحقيقة لم تؤثر المغامرات الغرامية أيام "كاترينا الثانية ولا التحديدات البلشفية "في أعوام ما بعد الثورة مباشرة" ولا الإدارة النهيلستية على الروس في مسألة الزواج بشكل حاد .

وعدد كبير من الباحثين متأكدين أن الروس يحب أن يشكر الرجال منهم زوجاتهم لمتانة وقوة الأسرة .

وكثير من الباحثين قد كتبوا أن المرأة الروسية تتفوق على الروسية والأسيوية فقد كتب "شويرت الألماني" وقال "إن المرأة الروسية تميل إلى الحرية والاستقلال كالمرأة الإنجليزية وتشبه الفرنسية في النشاط الروحاني وبالذوق العالى وفهم الجمال بلا إعجاب بالملابس وتتميز بصفات الأمومة كامرأة إيطالية بدون صرامة حتى الإفراط وعندها عطف ربه المنزل الألمانية بدون إجهاد طول اليوم في المطبخ" ومن الأمثلة المعروفة لنكران الذات لدى المرأة الروسية فمثلاً زوجات

الديكابرين "المشتركين في انتفاضة ١٤ ديسمبر ١٨٢٥" اللاتي ذهبن إلى المنفى في سيبريا وراء أزواجهن مثل "أنا اخماتوفا" ، "بيلينا بوتر" .

ولقد صورت الرواية الروسية معرض متكامل لصور المرأة الروسية مثل فاتاليا في رواية الوطن "لتورجنييف" وكذلك لنفس المؤلف ليزا في رواية "في عشه نبيلة" وييليـنا في "اليوم السابق" وفي روايات تولستوي أمثال "أنا كارنينا" "ناتاشا روستوفا" وفي رواية "الجريمة والعقاب" "سونيامارميلادوفا" وجروشكا في "الإخوة كرامازوف" "لدستوفسكي" والعديد من الصور الأخرى التي تعتبر حقيقية وليست خيالية ولقد كتب جيجيل ذات مرة "وهو معروف بأسلوبه العسكري" إن الرجل الروسي إذا لم يضرب زوجته فهي تعتقد أنه لا يحبها . وبالطبع تحدث مثل هذه الأشياء في الأسر الروسية ومن الأقوال الروسية الشهيرة .

وتحدث هذه الأشياء عادة تحت تأثير السكر وتأتي هنا إلى هذا الموضوع فإن السكر لا يعتبر صفة شعبية مميزة لأى شعب ولكن من المعروف أن الفرنسيين والألمان يسقون أولادهم شراب الزبيب على موائد الطعام . ولكن المسألة ليست في كمية شرب الخمر لأن الألمان والاسكندنافيين والإنجليز قادرين على أن يشربوا كمية أكثر من الخمر وليس بالطبع وجود عدد من السكارى دليل على أن السكر وإدمان الخمر ملامح وصفات لهذا الشعب وعدد هؤلاء كبير ابتداء من المسيسبي حتى الأمازون ومن التيمز حتى هوانهو . ولكن في السكر الروسي توجد لمحة شعبية ولمحة من العدوانية الروسية وعدم المقدرة وكذلك لمحة من عدم الاهتمام بالمصير أو المستقبل والحياة التي حولنا .

وبمشاهدة فيلم "Leving las Vegas" نغادر لاس فيجاس" ترى أن السينارست أدمن الشراب عمداً حتى الموت ويقول "أنا لا أتذكر هل أنا أشرب لأن زوجتي تركتني أم تركتني زوجتي لأنني أشرب" وهذه الحالة تعتبر صفة روسية خاصة في جميع الطبقات الاجتماعية .

الموقف تجاه العمل

عـــادة مـــا يسمون الموقف تجاه للعمل "بمرحلة الوسط الثقافية" أى الثقافة المادية للروس .

إن روسيا غنية بثروات طبيعية متعددة جداً وبكميات ضخمة جداً . وحينما تقـــارن روسيا بأمريكا التي امتلكت مساحات ضخمة جداً في خلال قرنين والروس الذيـــن امـــتلكوا مساحات وتوسعات في فترة أطول بكثير . وهذا تبدو المرآة التي تعكس حالة الثقافة المادية للروس .

وكتـــب معظم الباحثين تقريباً أن لدى الروس قليل من الانضباط والإدارة والتفكـــير وان صفة الإنسان الروسي غالباً ما تكون عدم امتلاكه للشكل والمضمون المعين . فيقول "بيردايوف" "والييين" "لوسكين" إن ذلك هو سبب ضعف تقدم الثقافة المادية للروس . ولا شك أن ذلك الفقر "بالنسبة لدول المتقدمة" لا علاقة له بمخزون جوف الأرض ولا الحقول والمياه ولكن الحالة هنا في روسيا نتيجة لتاريخ مأساوي مـــن الثورات والحروب الدموية وسوء الإدارة المطلقة للحكومة والإرهاب بالنسبة لممثلـــي الشـــعب وكل هذه الأشياء تركت أثرها على حالة الثقافة المادية ولكن هذا الفقـــر كـــان نتيجة لضعف الاهتمام بالعمل عند الشعب ويذكر لوسكين "أن الإهمال يغلـــب علـــى شخصـــية الروس والذي يظهر في الكلمات المحببة لديه مثل "ولو" "لاشـــيء" ويقول "ايلين" أن الإنسان الروسي سوف يزيل الصعوبات بطريقة عادية مرة والأخرى بطريقة الارتجال وليس بطريقة التخطيط المستقبلي أو بعد النظر في التقدير .

ولكي نفهم اتجاه الإنسان الروسي بالنسبة للعمل سننظر نظرة في قصص الأطفال الروســـية الشـــعبية . فإننا نرى أن سندريلا في الغرب تحصل على السعادة ببذل المجهـــود ولكـــن في روسيا نرى بيمليا وإيفان يصطادون السمك أو يسرقان التفاح حتى يعود شابان مرة أخرى وبعدها يحصل على السعادة ولسنا نقول هنا أنه يغلب على صفة هذا الشعب كله فمن المعروف لنا أمثلة كثيرة من محبي العمل والفن

العـــالى في الشعب الروسي ولكن صفة هذا الشعب هي "أنا جالس على الفرن لمدة أسبوع ثم أقوم فجأة وأصنع أي شيء وأدهش بعدها وأقول كيف استطعت أن أصنع هذا الجمال ؟ . .

"هذا ما يقوله الروسي عن نفسه"

ويشرح "دوستوفسكي" في كتابه "اللاعب" هذا فيقول "أن الروس أغنياء جداً بمواهـــبهم وهـــي متعددة الاتجاهات ولكن من المستحيل أن يجدوا الشكل المناسب لتوظيفها .

أو بكلمـــات أخـــرى يجب على الروسي أن يحصل على الشكل الواضح للصفة وأن يتمسك بالنظام في الإدارة بالنسبة للإبداع والتنظيم الفكري .

ومـــن هـــنا كانـــت كلمة "الين ولوسكين" "يجب أن نربي الإرادة والتفكير وبـــدون هذه التربية يصبح الروسي حالماً عاجزاً فوضوياً" وإذا كان الحالم العاجز عـــن تحقيق آماله لا يمثل خطراً قوياً على المجتمع بل الفوضويون والسارقون هم العقاب الرباني لهذا المجتمع وخاصة إذا كانوا من الروس .

ومـــن المعروف للجميع جنوح الشخصية الروسية إلى الرغبة في التدمير وذلـــك نـــراه في وقت ثورة البلاشفة أنهم كانوا يحرقون الديار والمكاتب ويقتلون البهائم ويدمرون الحدائق ولقد أصبح رمزاً لهذه الأيام تدمير معبد عيسى الذي كان قائماً في موسكو أما بالنسبة للسارقين والمغامرين فإن الروس يحافظون على لطفهم فـــي هـــذا من أقدم العصور فقد كان موقف الشعب تجاه المحكوم عليهم يميل إلى العطف والحنان فكانوا يحضرون لهم الطعام والملابس وذلك لأن السرقة في روسيا عادة ما تفسر بأنها مغامرة وليست مجرداً إحساس بارد بالسرقة فقط ويقولون دائماً:

سرقت وأنفقت لشرب الخمر- وقعت في مشكلة .

"إذا لم تقدر مجهودك فكيف يمكن أن تقدر مجهود إنسان أخر وتحترمه" .

الأنانية والتضحية بالذات

عند فتح الحوار عن مرصوفة التضحية بالنفس عند الشعب الروسي

سوف نتعرض للاختلاف بين الروس والأوروبيين والآسيويين حتى نستطيع أن نوجد الاختلاف بينهم ومن ثم نستطيع رسم صورة لذلك الشعب مع الأخذ في الاعتبار أن التناقض في الصفات هو الأساس حتى في ظل عولمة الصفات الخاصة بكل شعب والتي أسرعت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة.

وهناك ملاحظة لعالم الاجتماع الروسي-الأمريكي "ستريم سوركين" يجدر بنا أن نشير إليها وهي "إن نظرية العرق النظيف أصبحت خيالاً فالآن لا يوجد العرق النظيف كما لا يوجد الدم الخالص سواء الألماني أو الإنجليزي . وفي أيامنا هذه يحتفظون بنظافة الدم في مزارع الخيل فقط" .

وانطلاقا من هذا نحصل على نتيجة قد تكون للبعض غير متوقعة وهي أنه لا توجد صفة الأنانية أو السوليسية[1] لدى الشعب الروسي إطلاقاً وهاتان الصفتان ليستا روسيتان وإذا تتبعنا أفكار سوركين فيجب علينا أن نعترف بوجودها عند بعض الروس بالاقتباس من الغرب أو من الهند . ونحن هنا علينا أن نعترف بهذا بالرغم من هذا البحث عن الدم من المشكوك فيه جداً ولتتذكر ذلك التضمين اللطيف الفرنسي "ليروبولي" الذي قال "إن كثافة اللحية الروسية دليل على التأثير التتاري على روسيا"

حتى أن الغربيين الروس والنهيلستيين ورجال الثورة الذين أدخلوا تعبير أنانية معقولة" قد فسروها بشكل خاص من أشكال التضحية بالنفس فتشير نيشفسكي الذي يعتبر نفسه أنانيا قد تظاهر بالانتحار كي يتنازل عن زوجته لصديقه . ومنذ عصور روسيا القديمة كانت الأنانية بشكل حقيقي وبشكل تطبيقي "كما في الغرب"

١- مأخوذة من الكلمة اللاتينية Solus وهي تعني "فردي أو أحادى" وتستخدم في التعبير عن الأنانية أو الفردية

أو بالشـــكل التصوفي كما في الهند . ولكن الآن تجد في الشخص الأمريكي صفات روســـية والعكـــس أيضـــا صـــحيح وذلك بسبب العولمة الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية .

ولا يمـــيل شعب إلى التضحية بالنفس أو بموهبة التضحية كالروس وذلك لأنـــه فعـــل روحي للتضحية يستند على شعور فلسفي وليس يتعصب الانتحاريين اليابانيون الأعمى . وكان "أندريه تاركوفسكي" يقول أن التضحية هي الحب الذي لم يجـــد الشـــكل المناسب ولكن الحب هنا هو الروحية وهي تعتبر رغبة في الإصابة والتـــي من الممكن أن تحول إلى الأذهان بدون الأسس المنظمة . ويقول أيضاً في مذكـــراته بـــتاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٨٦ قبل موته بقليل "الحب هو تضحية بالنفس للآخرين وهنا كلمة التضحية تحمل المعنى الظاهري السلبي المتوجه إلى الشخصية التي تضحي بنفسها فبوجود هذه العملية دائما يكن الحب وبمعنى أخر تعني العملية الإبداعية الإيجابية .

وهـــناك رأى أخر "ميخالوكافا كونتشالوفسكي" حيث يقول عن ناركوفسكي "أنـــه أستوحى التطور من العادات الروسية البراوسلاوية "أي الأرثوذكسية" والتي مبـــناها الأســـاس هـــو الإحساس والتي فيها الحب هو الأهم "حتى العادات الغربية ويعتـــبر كونتشالوســـكي أن تاركوفســـكي يدل النفس بالروح وذلك لأن النفس هي العنصـــر المؤنث والدافئ" والوجل وأما الروح هي العنصر المذكر ولكن هناك من قال أن هذا العنصر المؤنث يخص النفس الروحية "طبقاً لكونتشالوفسكي

الموقف تجاه المادية والروحانية

إن الموقـــف بالنســـبة للمادية والروحية والنفسية يقع عليه أساس حضارة كل شعب كمثل الأساس عند كل شخص حيث توجد ميزة خاصة لكل شعب ذو مواهب غير مألوفـــة واختلط بعضهم ببعض "هذه الثلاثة السابقة" في كتاب "دستوفسكي" حيث سحب ميتـــيا كـــرامازوف بشـــعور مـــادي تمامـــاً وكـــير مـــن الحـــب التراجيدي وآلوشا كرامازوف يستطيع على مآثره الروح . يعنى هذا الحب الحقيقي- ولكن كيف لا نرى

فـــي هذه المأثرة للروح إظهار للروح الصافية وحتى إيفان كرامازوف الشقيق من بين الأشقاء كرامازوف الثلاثة نجده أقل من حيث الصفات الروسية "هذا من الوهلة الأولى فقط" وتعد فلسفته وخاصة بحوثه الروحية وليست التأملية كم من الروح فيها. "سمع الطفل" "إكراه العالم" بأى حماس بحث ايفان عن الحق .

ولقد رأي بيردايوف في أسئلة ايفان اتجاهاً دينياً وفي عام ١٩١٨ في دليل نصوص الثورة "من العمق" وضع نص "أشباح الثورة الروسية" الذي كتب فيه "لماذا عذب الطفل البريء من المستحيل أن ندرك ونحن نعيش في هذا العالم . والسؤال هنا يعتبر إلحاديا ولا دينياً .

إن موقـــف الشـــعب الروسي بالنسبة للمادية أقل اهتماما بها من الشخص الغربـــي وهـــو أي الروسي في حالة اهتمام ضعيف بالعمل كوسيلة للحصول على خيارات مادية ولكنه يحب في الإبداع جسارته وحذاقته وليست النتائج "ولكن ليس له إنكار تام للثقافة المادية كما نراها في روحانية الشرق فكون تشالوفسكي فعلاً على حـــق فـــي أن يخـــص الغـــرب بدرجة أكبر مما لروسيا ولكن لا تستطيع أن ننكر الروحانـــية فـــي أساس الصفة الشعبية الروسية ويجب على الروس أن يصلوا إلى ذروة الـــروح الحقيقـــية لأنهم يستطيعون التضحية بالنفس من أجل الحب ويقدرون على الفعل التراجيدي وفي نفس الوقت هذا الفعل هو الإبداع "الإيجابي" .

الفصل الثالث

النواحى الاجتماعية للشخصية الروسية

التصور الروسي للمملكة الربانية على الأرض

رغم أن دراسة مسألة إنسانية الإله وربوبية الإنسان أكثر في فلسفة التاريخ أو في الدين إلا أن الأساس الروسي يضعها بين صفوف المسائل الاجتماعية . ففي كتاب دوستوبيفسكي يقول الشيطان لإيفان كارامازوف: "يجامع الناس لكي يأخذون من الحياة كل ... ولكن السعادة والفرح في هذا العالم فقط تعظم روح الإنسان .... وتأتي إنسانية الإله" .

وهنا وضعت أهم العلامات الكميّة متغيرة القيمة لإنسانية الإله .

ويعتبر الشخص كجزء من مجموعة من الناس توحدت نحو الوصول إلى المملكة الإلهية ويعد هذا ضروري هنا، وفي هذا العالم وبدون اعترافهم بالرب وهكذا البشرية .

أعجب هذا الإغواء إنسانية الإله والمملكة الإلهية الأرضية .

"نارودبنكي ونجيليس"[1] ولقد ظهر الإغواء ظهوراً واضحاً في نظريات "تولستري" مثل كتاب "رجال الفضاء" وظهرت من خلال تولستري عند البلاشفة حيث كتب في مذكراته بتاريخ ٤مارس عام ١٨٥٥ أنه يريد أن يكون راعياً للدين الجديد، وفي عام ١٨٨٣ قال "أنا الرب" "حاشا لله" .

"حب الجماعة" مفهوم مبسط للطبيعة صنع من "الكونت" مرآة للثورة الروسية وجعله كأحد مصادرها . وكان يكتب له فلاديمير سولوفيوف "الإله الإنسان ليس المستنقذ المطلق عند الصوفيين الشرقيين" .

وهو الزعيم والعلم لحياة فعالة، النزاع والتطوير وليس للاستغراق في "نرفانا" "والفناء"[2] كانوا يدعوا رجال الفضاء (تسيئولكوفسكي ك" و "فيرناردسكي ف"

---

[1]- أنصار النارودنيتسينفو "حركة اجتماعية سياسية بين مثقفي روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

[2]- سولوفيوف "الرسالة إلى تولستوي ل.ن" طبيعة العالم الجديد ١٩٨٩.

والآخـــرون) إلى الذوبان في الفضاء المؤلمة وإلى رفض الشخصية وتغيير الناس على "حيوان-نبات" (تسيئولكوفسكي) وإلى اندماج كل ما هو إنساني مع الجماد في انتروبوكوسميه "فيرنادسكي"

ولكن كما كتب ميريجكوفسكي د . في "القلب الإنساني والقلب الحيواني :لو الرب هو العدم فإذاً البشرية هي الرب "(لوباتشارسكي) يعني : البشرية هي العدم : إذا ديمقراطـــية إجتماعـــية كالدين الذي أسس على عقيدة البشرية وهي الرب وهذا يعنـــي العدم[1] وفي نفس الوقت ذكر ميريجوفسكي عن ثبات هذه العقيدة لدى الشعب الروسي .

" المسيحية هى دين الإله الإنسان وضع فى أساس أى تنظيم دولى أكثر أو أقل من دين ذو وعى للإنسان الإله . "

وجوهـــر المســـألة لـــيس فى خفض بل فى رفع دور الإنسان كشخصية مشـــتركة فى الإبداع بالنسبة للرب . هذان الاتجاهان إيمان بالرب وإيمان بالإنسان يتفقان فى حقيقة الإلهية الإنسانية التامة والموحدة .

كتب "بيردايوف ن" و بولجاكوف" عن ماهية عقيدة الإنسانية الإلهية وعن اســـتخفاف ناحية اتصال (ارتباط) الإنسان مع الرب "يوجد طريقان أساسيان لتقرير المصـــير بـــالذات الدينية . . هما مذهب المؤلهين الذي وجد إتمامه في المسيحية ومذهـــب ألوهية الكون الذي وجد إتمامه في دين الإنسانية الإلهية وفي عقيدة ضد المســـيحية" "المســـيحية هي دين الإلهية الثلاثية ودين ربوبية الإنسان وهي تشترط الإيمان بالرب وبالإنسان ... الرب غير إنساني لا يعتبر رباً مسيحياً .

"هـــذا مـــن وجهة نظر الروس ولا ينبغي أن ننسي التأثير الشديد للحقبة الشيوعية الملحدة على هذا الشعب وما تركت فيه من آثار .

١- ميريجوفسكي "الحركة الدينية الجديدة.

الموقف تجاه الجماعة والفرد

"سولوفيوف" هو الذي أتى بتعريف يناسب "أنا" "ولست أنا" ففي الروح المسيحية معنى الحب الإنساني في عامة هو تبرير ونجاح الفردية من خلال ضحايا الأنانية .[1]

ومن هنا يتضح أن الفردية أو الفردية الذاتية ليسا مرادفان للأنانية وأن يتصف الإنسان في علاقته بالأخريين على حسب حبه الإنساني ولكن الإنسان الروسي صار في سبيل تقدمه التاريخي و مسألة "أنا" "ولست أنا" غير متجنب للإفراط . وأن حب التحرير عند الروس دائما كان يتعرض لتجارب عنيفة والفرد بذاته كان مجبر على أن يناضل تحت الظروف الشيوعية وأن براديوف سمى القرن العشرين عهد اللاقيصريه البوهيمية . وهذا لأن العهد البلشفي والنازي أدخلا أفراد في الجماعة بقوات متساوية كما تدخل البهائم القطيع . حتى الشعب والحكومة "عند النازي" أو الطبقة والحكومة "عند البلاشفة" حل محل الرب وإذا بالقومية والماركسية تواجهان الدين مباشرة مستخدمين غرائز الإنسان الدينية .

"إن الإنسان يميل لحالة القطيع وهي التي كانت دائما مظهر لترك الإنسان في العالم الساقط"[2]

ومع الأسف لا يستطيع الشعب الروسي اتخاذ الموقف المحايد .

إن الحديث عن التحرير الظاهري في روسيا مبكر لأن الروس عاشوا في ظروف تاريخية لا توجد بها الحرية فلا توجد بها الشخصية وقد ذكر"لوسكين" أن قيمة الحرية هي قيمة شذوذ الفرد التي ترتبط به ... وكل هذه مرفوضة على الإطلاق من قبل الشيوعيون السوفييت وبعد تأسيس الحكومة التوتاليتارية يريدون أن يسعى كل فرد إلى خدمة الجماعة .[3]

١- "بيرديايوف" فلسفة الروح المستقيل موسكو ١٩٩٤

٢- سولوفيوت "معنى الحب" كييف ١٩٩١

٣- لوسكين "صفات الشعب الروسي" ١٩٧٥، شروط الطيبة المطلقة موسكو ١٩٩١

أما بيرداييوف فقد كان رأيه في الدولة عامة رأيا مرتابا . حتى في معناه الليبرالي . أي أن الجماعة محتكة ضد الحرية ويقول جميع المنظمات التي أسست قبل ذلك وتؤسس الآن هي ضد الحرية وتميل إلى انكسار الشخصية الإنسانية[1]

إذن فالفرد داخل الجماعة مقهور دائماً وأن نسبة "أنا" إلى "لست أنا" يجب أن تكون دائما سلبية ولكن لا فنحن ننسي أن عيسى عليه السلام أوصى بأننا يجب أن يحب بعضنا البعض . إن الحب بذاته إلى الأخر من خلال الحب إلى نفسك كتعبير الحب إلى عيسى عليه السلام هكذا يربطنا جميعاً ببعضنا .

وتجد أن شكسبير وأينشتين أقرب إلى أي روسي من إيقان ايفانوفتش ومن المستحيل أن تحب طبقة كما أنه مستحيل أن تحب جماعة . فالحب بدون الشخصية يعني "الشذوذ" ولكن يمكن أن تحب كل "بمفرده وليس كلهم جميعاً ويجب على الشخص أن يوحد شخصية مع شخص لست أنا .

الموقف تجاه الحرية وعدمها

لا يمكن أن يكون داخل المجتمع مواقف متعددة تجاه الحرية ولكن الفلاح والأرستقراطي وصاحب البنك والمتشرد والعامل والشاعر كل واحد منهم يفهم معنى كلمة الحرية بطريقة خاصة به وذلك سواء في أوروبا أو في أسيا ولنحاول أن نميز صفات خاصة جداً لحب الحرية والطاعة أو الخنوع .

إن إذلال النفس أمام صاحب السلطة من صفات الروس حتى أنه يقال عندهم إن إذلال النفس أكثر من الاعتزاز بالكرامة .وحتى أن المهرجين الروس والعبطاء منهم كانوا يتمتعون بالاحترام الخاص بين الشعب وحتى أن القياصرة كانوا يخشونهم .

١- بيرداييوف ن.أ "عرفان الذات " تجربة ذاتية لحياة فلسفية موسكو ١٩٤٩ : ١٩٩١

فمـــثلاً . فاســـيلي بلاجنتين كان يقول للقيصر كل ما يرغب" وقد سمح بذلك لنفسه مهـــرج الملـــك لير في رواية شكسبير فاستحق الشرف لتسمى باسمه كاتدرائيه في الميدان الأحمر بموسكو .

إن الزاهدين الذين يسمون في روسيا الودعاء يتجولون في المدن والريف مـــن معـــبد إلى معبد ومن مكان إلى مكان وذلك ليس مظهر للحجاج إلى القدس أو الجلـــجاريين ولكن هؤلاء من يعتقدون أن شرارة رغبة الحرية المبكرة تتحول إلى النار الحقيقية لدى هؤلاء المخبولين الروس الودعاء ظاهراً (وطبعاً هم غير الحجاج المســـلمين الذيـــن لا يقارنون لأنهم مستغفرون طالبون لطاعة وغفران ربهم . وهم غـــير مقبولين للروس وذلك لأن الودعاء الجوالين لهم الاحترام لأنهم ليسوا مذنبين يستغفرون ولكن باحثين عن الحق ومجيبين للحرية الفقيرة وهي تقريباً المطلقة في الوقـــت الحاضر وأصبحوا شبه متشردين ومع ذلك فمن بينهم أشخاص من فلاسفة محبين للحرية وبالطبع لا يمكن أن ننكر وجود جينات خنوع لدى الروس وكما رأينا فـــإن هؤلاء الناس سريعو الحماس والولع بشكل قوي بشيء ما أو بشخص ما حتى لـــو أنـــه لئيم لا يستحق الاهتمام وغالباً يؤدي هذا إلى الطاعة والخنوع ويكفينا أن نـــتذكر "فوما ابيكسينا" في كتاب دستوفسكي "قرية سيتبانتشكوف" ولكن حب الحرية صـــفة مميزة للروس وأن البلشفية مع تطرفها الذي يقتل الشعور ويدمر الفكر كانت تدخـــل الشـــعب فـــي الاستعباد والوثنية أمام صورة لينين وستالين ولكن كل هذه التصرفات كانت مكروهة من قبل الصفات الخاصة للشعب الروسي حتى صار الآن إطـــلاق الـــنكات علـــى الحكومة ظاهرة عادية حتى حب الحرية الذي يحمل لدى الروس شكل قطع جزئي أو تسلط وكلمة حرية عادة ما تقترن بالتمرد وهذا ما رآه "ستنكر رازين" بيسليان يوجا تشوف"

وتـــتحول كلمة الحرية عن الروس إلى فوضوية وذلك عند المتعلمين تعلماً سطحياً أما عند المهذبين الثوريين من خلال نهيلستيه وتوتاليتارية ترجع أيضا إلى

الاســـتعباد ويقول شيجاليف في كتاب دستوفسكي "شياطين" عندما اخرج من الحرية التي بلا حدود أدخل الاستبداد بلا حدود .

ويقـــول بـــردايوف حين ينغرس أي مجتمع في عدم الحب إلى الحرية لا يخاطب الجماعة أو المجتمع بل يخاطب الروح المستقلة المنفصلة "إن الوصول إلى الرب يعتبر لا حماية بلا الثورة الروحية"[1]

دوافع المنطقية

من صفات الشعب الروسي الميل إلى انتظار نهاية جميع الأوقات ويناسب ذلـــك مـــع رؤيـــة الروس إلى مسألة السلطة والحرية وعدم الحرية وتنكسر صور الابوكاليبسيس[2] في ضوء الإدراك الروسي للسلطة "القوة التاريخية التي تسيطر على جمهور الناس سوف تصطدم وتختلط قبل أن يكبر الرأس الجديد لهذا الحيوان الذي يمزق نفسه- سلطة المسيح الدجال العالمية الموحدة"[3] وقال هذه الكلمات "سولوفيوف ف." فـــي الســـنة الأخيرة للقرن التاسع عشر . حين استوعب العصر الجديد تقدمه المـــتعدد بواسطة مفكرين روس متدينين كحلول أبوكالبيسيس . ولقد رأى الألماني شـــنجلر حادثة التقدم السريع كعلامة للنهاية وذلك في كتابه "غروب أوروبا" تمردا أبوكاليبسيس" ويرى أن الروس بطبيعتهم شعب النهاية .

وإلى حد ما أصبحت كلمات "ميربجكوفسكي" التنبئية التي قالها قبل الثورة البلشـــفية بأحد عشر عاماً "خافوا من شيء واحد وهو نظام الرق ومن أسوا أنواعه البرجوازية الصغيرة ومن أسوا أنواع البرجوازية الصغيرة النذالة لأن العبد الذي

١- بيردايوف "فلسفة الروح المستقل" موسكو ١٩٢٧ : ١٩٩٤

٢- ابوكاليســـيس "مـــن الكلمـــة اليونانية Apokalipsis بمعنى التنبؤات وهي تنبؤات الحوارى "يوحـــنا" وهي من إحدى كتب العهد القديم وتعتبر أتم مؤلف في الدين المسيحي وهذا الكتاب كتـــبه يهودي مسيحي في الفترة من عام ٦٨ إلى ٦٩ بعد الميلاد وذلك بعد موت الإمبراطور نيرون وتتحدث الأبوكاليبسيس بطريقة خيالية عن مستقبل ومصير العالم والبشرية.

٣- سولوفيوف ف "ثلاث حوارات" موسكو ١٩٥٥ .

اصـــبح ملكـــاً هو جلف والجلف الذي أصبح ملكاً هو الشيطان وبذلك الأمير الذي سيأتي للعلم هو جلف"[1] إن انتظار النهاية يعتبر انتظار مملكة ربانية وهو من صفات الجواليـــن المذكورين فيما سبق . وليس لهم مدينة على الأرض متطلعين إلى مدينة سماوية وتأسيس المملكة الربانية على الأرض لا يقدر عليه إلا المسيخ الدجال وهذه هـــي عقـــيدة الثوار الأساسية . والطبعة النفسية للشعب الأبوكاليبسيسي مهمة فهم يعـــترفون بدور ما وراء الطبيعة والتاريخ ونذكر أنه بعد سقوط القسطنطينية لقبت الكنيسة في موسكو باسم روما الثالثة ونفس الشيء عند البلاشفة في القرن العشرين عندما لقبوا الطبقة العاملة "البلوريتاريا" باسم الطبقة المهمة التي أسست روما الثالثة واستعدوا لأن تكون المملكة الربانية على الأرض أليس هذا أبوكاليبسيسي . وهكذا فـــإن الحجج الايوكاليبسيسية والاسخالوتولوجية[2] تتشابكان عضوياً مع موضوعات الســـلطة ولقـــد كتـــب برداييوف في فلسفة الأخلاقيات[3] الدولة الاشتراكية هي نظام شيطاني الاشتراكية تؤمن بمهمته العالمة طبقة مسيخ ولكن السلطة تقدمت في روسيا عن أوروبا .

منطقية السلطة

لـــم تقـــبل الســـلطة في روسيا أبدا شكلاً أوروبياً معروفاً وكان الاستبداد التوتاليتاري[4] مختلفاً في روسيا عن أسيا ومتأثر بالتطور القادم وأعاد غرس السلطة الدولية على هذه الأرض .

والورنكيين[5] الذين جاءوا إلى روسيا في القرن التاسع والعاشر وأسس "كونونج "زعماء القبائل" سلالة أميرية كانت معروفة كسلاله لهم وحكمت هذه السلالـــــة

١- ميريجوفسكي "الجلف القادم ١٩٠٦. روسيا الملتهبة ١٩٩٢.
٢- الاسخاتالوجية من الكلمة اللاتينية اسخاتوس. وهو عبارة عن تيار ديني يتكلم عن نهاية العالم والآخرة وعن روح الإنسان.
٣- بيراديوف "فلسفة الأخلاقيات" ١٩٢٣ موسكو ١٩٩٥.
٤- لتوتاليتارية من الكلمة اللاتينية Totalis أى الكمال أو التمام وهي احد أنظمة الحكم التي تحكم فيها الحكومة حكماً تاما وتسيطر على حياة المجتمع.
٥- اسم يطلق على الأبطال الأوائل وهم المنحدرون من قبائل اسكندنافية قديمة

روسيا حوالي سبعة قرون وانتهت بموت القيصر "فيدرو ايفانوفيتش" وهو أن القيصر إيفان جروزني وأطلق على هذه السلالة اسم روزيك هو إنسان شبه أسطوري . في الحقيقة لم يكن الأمراء الروس الأوائل حكام ذوى حقوق كاملة ولكن السلطة كانت مكونة طبقاً لمبدأ الأسر "فأمير انجفار ." "ايجوار بن روزيك" "اوليج قريب رزويك "وبن ايجور شيفندسليف" كانوا أوائل كونونج الذين هم في مستوى حرس الأمير" وبعد الحملات كان يرحلون بالثروات المسروقة غالباً إلى اسكندنافيا وطنهم ولم يعرف أحد في مدينة كييف أين مات الأمير اوليج مع انه الشخص الذي قتل كونونج "اسكولد" "ديرار" ثم استولى على الحكم في كييف التي كانت محطة تجارية على الحدود لقبيلة "خازار" وبعد ذلك نقل الابن الصغير لـ زوريك العاصمة إلى نفس المكان لقد تم اختلاط الأجناس بين الروس والسلاف والورنكين . وبالتدريج نسوا العادات النورماندية . أما بعد فإن أولجا زوجة إيجور بعد تعميد إيلينا حاولت دخول المسيحية في روسيا ولكن ابنها سفياتوسلاف لم يستطع أن يفعل شيئاً ضد رأى حرس الأمير . ولكن ابنه فلاديمير أكمل التخطيط بعد أن اصبح الحكم فردياً بعد توحيد الأراضي الروسية حول موسكو وتشبهت السلطة الحكومية بالاستبداد الشرقي وازدهرت السلطة المطلقة التوتاليتارية في أيام حكم آخر الروزنكيين "فاسيلي إيفانوفيتش" إيفان جروزني" ولم تستند هذه السلطة على مبدأ الأسرة فإيفان الرابع كان يختار لحرسه أفراد من عائلات عادية وقد يحتاج الحكم المطلق إلى الطاعة المطلقة فأدخلت بعض الصفات الأوروبية إلى السلطة الروسية في عهد بطرس العظيم . إذا اعتمد الأوائل من أسرة رزويك على فرق متجانسة قومياً والآخرين من نفس الأسرة وأول ثلاثة من أسرة رومانوف اعتمدوا على بداية الاختلاط الطبقي ثم جاء بطرس العظيم واعتمد على الاختلاط الطبقي والقومي وكان اقرب الناس لبطرس "جوردون" "سكوتلاندي" "ليفورت" من جينيف وهو أول أمير بحر روسي ومن الأمثلة "ابن باجوجيسكي" عارف الأرغن أصبح نائب عام وقائد في الجيش والعديد من هذه

الأمثلة ولا يعرف تاريخ روسيا عهداً أخر حيث جلب إلى السلطة دائرة واسعة من الناس من هذا الوقت .

ولقد أظهرت الليبرالية جزءاً من الحكم الاستبدادي مرتين ولقد بدأ أليكسندر الأول كنموذج لعاهل مستنير وذلك بعد "آنا" "انليزافينا" اللتين كانتا غير مكترثتين لأمور الدولة و بعد كاترينا التي كانت مستنيرة ولكن عنيفة جداً "وبافل المتهور" ولكن لم يستطع هو ولا ابن أخيه أليكسندر الثاني أن يدخلا روسيا بين الدول المتقدمة و المتحضرة بالرغم من قيامها بالإصلاحات ولقد ظهرت قوة روسيا ودورها بقدراتها الحربية وثرواتها الطبيعية .

ولكن القياصرة لم يرو الغرض ولكن تقدموا إلى الحضارة ومن المعروف أن هناك بديل واحد فقط للتطور هو الثورة وقال سوركين "المجتمع الذي لا يعرف كيف يعيش والذي لا يسعى إلى أن يتقدم فهو يصلح بالتدريج ولهذا السبب فإنه يسعى إلى الثورة ويدفع إجبارياً الثمن من أجل ذنوبه بموت الجزء الطيب من أعضاءه .[1]

الاشتراكية هي فكرة الجنة على الأرض والمملكة الربانية ولكنها تعنى النظام المبني على عظم الشعب المسكين وعلى دم المثقفين الذين كذبوا على أنفسهم وكان البلاشفة المتطرفين حينما رفضوا دينهم ونظروا لطبقة العاملين على أساس أنهم هم أساس المملكة الربانية على الأرض يعتبر ذلك سقطاً لشكل بروسلافي كئيب . واجهته روسيا عام ١٩٣٧ .

وقد كتب برديوف في كتابه . فكرة ومصادر الشيوعية الروسية . "أن الحكومة الروسية لا تستطيع أن تكون إنسانية والمواقف النهيلستية بالنسبة للعالم والإنسان هو شكل مقرف للبراوسلافية التقشفية" .

١- سوركين ب "علم اجتماع الثورة ١٩٢٥. الإنسان الحضارة "المجتمع" ١٩٤٢ .

وأن وحدانـــية الكـــون للحكومـــة التوتاليتارية لا تتناسب مع المسيحية ومعناها أنه سيكون نضال المسيحيين البطولى ضد الادعاءات المطلقة من قبل المملكة القيصرية في الشيوعية وفي النازية .[1]

الموقف تجاه السلطة

قـــد لمســـنا مسألة السلطة وموقف الإنسان الروسى منها فى الموضوعات الســـابقة ومن الطريف أن هذا الموقف لا يتعلق بالطبقة الاجتماعية فقط ولكن أيضا فى قبول السلطة بدون قيد ولا شرط لحد الضاعة البليدة لها أو عدم قبولها بدءا من عـــدم الاهتمام المتساهل حتى التمرد سواء كان واضح أو خفى . إن طبقة المهذبين الـــروس فى القرن التاسع عشر مجموعة اجتماعية واحدة ومعارضة للحكومة دائما وطبقا لكلام "فرانك س" فأولئك الناس كانوا رهبان محاربين للدين النهيلستى للسلامة الأرضـــية بشـــكل كلاسيكى بسيط لذلك لم يستطيعوا أن يكبحوا جماح رغبتهم فى الحـــرب وتوقفهم عن تحريض الشعب . وتحول من بقى حياً منهم بعد الجائحة إلى مهندســـين للأرواح الإنسانية من ذوى الحمس يغنون بـــ "جلالج ستالين" . "معتقل فى عهد ستالين" ويكفى لنا أن نتذكر رحلة الكتاب إلى مكان مخصص لعمل السجناء المسخرين "مثل إنشاء قناة بيلاموزسك . بالتيك .

وباقى الناس الذين اعتنقوا الدين الجديد فالقديم قد نسى تماماً" .

فبدلا من بابا قيصر عندهم أمين عام وبدلا من الكنيسة الحزب وبدلا من المســـيحية الشـــيوعية واعظم المآسي هى القضاء على الملايين من الأبرياء وكان النضـــال مـــن الجماعـــات الأنانية من اجل السلطة بلا حدود مصدرا لهذه المآسى وانتشـــرت الخرافات التى تريح البرجوازى الصغير وقد كتب فى ذلك ساخاروف سنة ١٩٦٨ فى بحثه أفكار عن التطور" ، عن الخرافات عن الأرض والدم وخطر اليهود" . وقد كشفت الستالينية ساعدها لتجديد المعارضة الخفية الداخلية فى بيئة

١- بيرداييوف "فكر ومصادر الشيوعية الروسيه" ١٤٣٧ وموسكو ١٩٩٠ .

الـــرجال المفكرين من أمثال "ساخاروف P. P. S اليسينوف " ولإظهار الارتـــياب السليم عند الشعب نذكر النكات التى أطلقت بسوء قصد على خروشوف وبرجينيف .

وألغى الماضى القريب إلى الأبد الحب الأعمى للسلطة وهنا يكمن الموقف تجـــاه جورباتشوف فهذا بسببه التاريخ والآن الموقف تجاه السلطة لا يتعلق بإرادة الســـلطة بل بالتجربة وفعاليتها وقبل كل شئ بأخلاق السلطة التى تغيرت فى عقلية الشعب .

الفصل الرابع

النواحى الثقافية للشخصية الروسية

الثقافة وصفات الشعب

قد ذكرنا فيما سبق رأى شينجلر عن روسيا ويعتبر هذا الرأى صحيحاً لان الروس يختلفون عن الأوربيين لا يعتبرون أنفسهم الوارثين للثقافة الرومانية واليونانية ولم يعتبروا عاداتها مقدسة ويقدم الأوربيين دائما ثقافتهم كأنها شاملة الأغراض والوحيدة فالعالم الباقى خارج إطار الحضارة . "مثلهم الهنود والصينيون".

ولكن لماذا الروس طبقا للمواصفات الصينية والأوربية خارج إطار الحضارة ومع ذلك وصلوا لمنجزات ثقافية .

لم يكن هناك شعور فى روسيا إلى تقديم الثقافة وذلك نتيجة للميل إلى النهيلستية وقد خرجت من وراثة براوسلافية التي هى اتجاه لأي شئ مصنوع من طرف الإنسان . وهذا ما يفرقها عن المسيحية الغربية التى استوعبت للعدالة الحضارتان الرومانية واليونانية .

وتعتبر من صفات الروس أيضا تبسيط الثقافة وإنزالها إلى مستوى الثقافة المادية وهذه الصفات لا تخص أفكار تولستوى ، شكسبير "النضال ضد ثقافة هو أحد الصفات الخاصة لروح المهذب الروسى عقيدة التبسيط ليست خاصة بعقيدة أفكار تولستوى وبعض الصفات العامة لمزاج العقل المهذب الذى يأتى منطقيا من المعنوية النهيلستية "[1] .

وهذا الموقف النهيلسيتى بالنسبة للثقافة اتفق تماماً مع آراء الشعب الثقافية "والأرجح اللاثقافية" لأن الازدهار الملحوظ فى الثقافة الروسية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والتى سميت بالعصر الفضى قد انتهت بطريقة غير ملحوظة وبالطبع لا نقصد هنا طبقة النبلاء المثقفين وقد بدأ إهلاك وتدمير إنجازات الثقافة من البلاشفة "فالثورة الروسية كانت رجعية وثقافياً وعقيدتها متخلفة عقليا وقد

[1] ... النهيلستية ١٩٥٩ المهذبون فى روسيا موسكو ٩٩٠

ملكت الثورة الشيوعية حرية الروح والتفكير وأحدثت موقفاً تجاه الفن والفكر"[1]

إننا نرى انه قد عبَّر المهذبون المفكرون النهيلستيون بشكل أوضح عن صفات الشعب الروسى "مثل لافروف وهو أحد اشهر رجال الثورة تكلم مباشرة عن ذنب الحضارة" .

ومع الأسف بعد أن تخلص من الضغط التوتاليتارى الذى قتل الحضارة فى روسيا دخلت روسيا تحت ضغط آخر ولكن هذه المرة تحت ضغط منتشر وهو العولمة فأصبحت العقول والأنفس التى كانت لها ثقافة رهائن عند كتلة الحضارة الغربية لفترة طويلة والشرق فى الفترة الأخيرة . فالمسلسلات بلا ناهية لقطات العنف والغرام والجنس بلا حدود وكل هذا تقليد للغرب وقبلة تقليد للسلبيات ولم يلاحظ الشىء الذى قامت عليه أسس الحضارة الغربية .

الطبيعة والشعب

من النظرة الأولى للموقف النهيلستى بالنسبة للثقافة نجد حالة تناقض مع الثروات الحقيقة وتنوع الهبات للشعب الروسى وكما ذكرنا إن أحد صفات الروس هى إنزال الثقافة الروحية إلى المستوى المادى وقبلة ذكرنا موقف الروس تجاه الثقافة المادية ومع ذلك فان الشعور الدينى لدى الروس قوى جدا .

ولقد ظهرت إنجازات عظيمة فى الثقافة الروسية "كانت أولا فى الأدب ومصدرها هبة الطبيعة للشعب والثروة النادرة التى ظهرت فى مرحلة مبكرة من تقدم الشعب الروسى مثل عمارة مدينة ، كييف ، فلاديمير وفن روبلوف الرقيق كل هذا يعطى للشعب مكانة لائقة فى الحضارة العالمية لان الاعتقاد فى أن تطور روسيا الثقافى بدأ من إصلاحات بطرس غير صحيح والدليل على أن مصدرها هبة الطبيعة للشعب الروسى بسبب الحياة الروحانية وخصوصيات الشعب الروسي الأساسية

١- ميرمانيوف . ن" عرفان الذات ١٩٤٩ موسكو ١٩٩١.

والطبيعة المطلقة تعتبر مصدرا للنوع فى الخبرة ونواحى المواهب المتعددة وتدريبها ومن الطبيعى أن يظهر تقدم للروح البشرية وتوفر الهبة الطبيعية"[1]

ولا ننكر إصلاحات بطرس التى أصبحت من أسباب التقدم الثقافى الروسى فلا يمكن أن نرى تاريخ الثقافة والعلم بدون لومونوسوف وذلك بدءاً من اليوم الذى ظهر فى محراب العلم والكثير من الأسماء والعلماء أمثال "لو باتشوفسكى عالم الرياضيات ، ليبيديف عالم الطبيعة" وسوركين سافاروف "والفيلسوف مولوفيوف وبيرديايوف وكل هؤلاء فى فترة صغيرة فى خلال عصر واحد .

الفن

يحتوى الفن الموسيقى الروسي على نوعان الكلاسيكى والعادى . فالأغاني الروسية متعددة الوجوه والألوان منها الأفراح ونشاستوشكا[2]

والرومانسى وسائر الألوان . وتظهر الصفة الشعبية الروسية كاملة فى النغمات الشعبية ومن الصعب أن نتصور الموسيقى العالمية فى القرن التاسع العاشر والقرن العشرين بدون أعمال مثل "جلينكي، مورسوركي، يوروديين، سكريابين ،بروكوفييف ، شيستاكوفيتش وأيضا البالية الروسى الأشهر فى العالم بأسره . وأيضا ممثلين روس أمثال بافلوفا ، الانوفا ، ليينا ، باريشنيكوف" .

وأما فن الرسم الروسى فهو فن عالمى حيث كان أكثر عملية عما فى أوروبا حيث تعلم الأوروبيين من "ما ليفيتشن ، كاند يسكى ، شاجال ، كرامسكى ، ريبين ، سيروف ، إيفانوف .

وعرفت نواحى الفن الأخرى عهوداً سعى فيها العالم وراء روسيا مثل السينما التى كانت تنافس السينما الأمريكية لعدة عقود ولكن التوسع الهوليودى الآن

١- لوسكين صفات الشعب الروسى ١٩٥٧ ، شروط الطبيعية المطلقة موسكو ١٩٤١.
٢- اسد للأغاني الشعبية فى روسيا.

يذلل مقاومة الأوروبيين الضعيفة ولقد أبدى الكثير إعجابهم بفيلم "ايزنشتين . س ، "الدراعة بوتومكين" .، "تطير الغرانيق لنشوكار . س" وأفلام مثل أفلام جيراسموف وكلاتوزوف والأستاذ الكبير يوندار تشوك .

وبـــلا شك فإن مدرسة فن التمثيل الروسي تعتبر احسن مدرسة فى خلال العقود الأخيرة من أمثال "سمار توفوفسكى"، يانوف .

وبعد ذهاب مثل هؤلاء سوف تعانى السينما الروسية .

الأدب

ابتداء من أوائل القرن العشرين كان الأدب من أهم مجالات الثقافة الروسية وقـــد ذكـــرنا جملة جيرتسين بشأن إجابة الشعب الروسى على إصلاحات بطرس العظيم" .

والأدب الـــذى أبدعـــه بوشـــكين أ س . وضع فى مصاف أعظم أعمال الأدب العالمـــي والتى تعتبر نموذجا لسعادة الروح الروسى مع الروح العالمى ومن قبله الأوروبي .

وإن الأدب الروسى جمع افضل الصفات الشعبية لدى الروس وهى القومية والعالمـــية وبذلك اثبت أن إمكانياته على مستوى عال ليصبح جزءا من الحضارة على الأرض .

لقـــد أصـــبح بوشكين ومن بعده ليرمونتوف ، توتشسف ، جينيف ، فإن ، نتـــيخوف ، جونشـــاروف بلا شك من أكبر أدباء وشعراء أوروبا . ويتميز الأدب الروســـى بأنـــه يحمل الألم بشأن مصير الإنسان والتفكير الشديد فى الإله والعالم والشـــعب وقبل هذا يتميز بالإنسانية الشديدة وهذا كله أصبح علامة خاصة للشعب الروسى لا ترفض بل جلب الأوروبيين العقلانيين والشعراء الآسيويين .

أمـــا بالنسبة لجبابرة الأدب الروسى الثلاثة فى القرن العشرين جوجول ، ديستوفسكى وتولستوى فأعمالهم لا تحمل قيمة روائية وأدبية وفلسفية فقط بل شعور الـــروح الروسية القوية التى انعكست على حياة الشعب الروسى أثرت على تاريخه جوهرياً .

ولقد فتح لجوجول وجه الشر هنا والشر لا يختص بغير نيكولاى فقط ولكن رؤيـــة جوجول التى تخص روح الشعب بأن رأى روح النذالة واللاإنسانية ولم ير نمـــاذج الطبيعة ولم يتكلم عنها فى مؤلفاته وهذه تعتبر مأساة المؤلف ولكن جوجول وصـــف للقـــارئ فـــى كتاباته كل الشر الذى رآه وهذا تأكيد على موهبة المؤلف العظيمة والأكثر من ذلك هو وصف الثورة الروسية ونكلم عن أمثال "تشيتشيكوف ، خليستاكوف، مانيسلوف" . وان نهاية ملحمة جوجول مستحقة حيث يقول بيردايوف "روســـيا علـــى أساس رأى جوجول ليست حياتنا ما قبل الإصلاحات فقط هى التى تخص صفة الشعب الروسى لكنها وجدت فى ذات الثورة الروسية"[1]

ودستوفســـكى الذى وصف لنا عفريت روسيا والاشتراكية التى رأى فيها جاذبـــية شـــيطانية مخـــيفة للشعب الروسى . ففى الاخوة كرامازوف يقبلوا الثلاث إغـــراءات الـــتى طـــبقا للإنجيل رفضها عيسى عليه السلام فى سبيل حرية روح الإنســـان وهـــى "تحويـــل الأحجـــار على الخبز" بمعنى الشبع بدون تعب "عجيبة اجتماعـــية" بمعنى قسم كل شئ" ، المملكة فى هذا العالم "بمعنى السلطة الأرضية" ولكـــن ديستوفسكى كان تحت تأثير عنصرية الكنسية فحب الشعب للمؤلف فشل فى عام ١٩١٧ حينما سجد أمام المعذب القاسى الجديد وهو لينين" .

أمـــا تولستوى فقد ضر الناس ضرراً عظيما وهناك أناس لم يكونوا محبوبين لديه وهم المهنيون والبورجوازيون والنبلاء والقساوسة ولقد أفسدت أفكار تولستوى

١- بيردايوف "أرواح الثورة الروسية ١٩١٨ ، المختارات من العمق القصص التاريخية عن الثورة الروسية ١٩٩٥".

الشـــعب وقد وصفه لينين بأنه مرآة الثورة لأن تولستوى كان سباقاً للبلشفية وأيضا فلسفة الثورة الروسية كلها .

أمـــا من ناحية اتجاه أفكار تولستوى وعدوانية للحكومة والكنيسة فقد كانت تتناسب مع صفات الشعب الفوضوية والخامدة .

ومـــن ناحية أخرى إكراه الكنيسة وعدم اهتمامه بعظمة روسيا وطلباته فى تحقيق الطيبة المطلقة فورا وتماماً فى الحياة المادية .

أمـــا النهيلســـتية عـــند تولستوى فتعتبر كمالا عدوانيا وبدون هناء للروح المسيحية نفسها .

وأفكـــار تولســـتوى بمعـــنى أوســـع هى خطر داخلى روسى ولكن أفكار تولستوى لم يكن بها شئ من روح المسيحية[1]

بدأ القرن العشرين فى روسيا بنهضة شديدة إبداعية وروحية وسميت تلك الفترة بالقرن الفضى .

وتغيرت الأحداث والظروف التاريخية سحبت الشعر الروسى إلى الصف الأول فشعر بليوك "جوميليوف" غنى بالأفكار السياسية ومظهرها .

وقد قسمت الثورة الأدب لنصفين أحدهما رسمى والآخر غير رسمى وهو أدب المهجر أو المهاجرين والذى ظهر فى سلسلة من الأسماء المشهورة .

والنثر أيضا فقد كان أندريه ، بيلوف ، ليونيد اندريف ، كونير اندريف ، كويربين ، زاماتير ، بولجاكوف ومن بعدهم سولجنستين ، اكسينوف وشعر كل من باستيرناك ، ارسين تازكوفسكى ، ميروسكى أولئك أثبتوا أن الأدب الروسى لم يمت ولا يـــزال مـــن العلامـــات البارزة فى الأدب العالمى والتأكيد على ذلك الاعتراف العالمى بالموهبة العبقرية لكل من "إيفان بونين"، "فلاديمير نابوكوف" .

١- بيرداييف أرواح الثورة الروسية ١٩١٨ .

الإنسانية واللاإنسانية

حقاً من الممكن أن نسمى القرن التاسع عشر قرناً إنسانياً فى الثقافة الروسية ولكن فى قرننا هذا نلاحظ الأزمة العالمية للعقيدة الإنسانية نفسها . "دستوفيسكى" و "نيتشى" يعرفان على عقيدة رفض الإنسانية . اعتبرت هذه العقائد منتجاً طبيعيا لأزمة الكنيسة ولست للمسيحية بشكل عام .

ظهرت أزمة الإنسانية فى روسيا بالإلحاد الذى يعتبر معاداة للثقافة وحدث به امتزاج بين النهيلستية الوثنية البدائية لطبقة السفلة وللنهيلستية الدينية لطبقة المثقفين وقد وصلنا هذا الامتزاج إلى الاتحاد الذى يرفض الثقافة والى الفساد الذى يرفض الإنسانية قال ابرز الشخصيات قبل الثورة "يجب علينا أن ننتقل من العقيدة النهيلستية التى تعد ضد الثقافة إلى الإنسانية الدينية التى تعد ثقافة إبداعية ."[1]

النهيلستى المهذب . وقد جرت عملية العطوبه الداخلية وهى الزلزال والبركان فى تاريخ روسيا وأصبحت هذه الكارثة مثالاً حقيقياً لقيصرية المسيخ الدجال فى العالم المتحضر .

وقد أخذ درساً من دروس الثورة الروسية وهو فشل الإنسانية تماماً .

وحدثت تغيرات فى الثقافة الروسية فى القرن العشرين بسبب كلمة واحدة . هى "الديمقراطية" ولكنها ليست بمعنى إيجابية ليبرالية سياسية بل بمعنى "عملية تهديد الثقافة" وهى بالطبع غير الإنسانية التى وصفت من طرف "فرانك" كالهجمات البربرية الداخلية" تحلم داخله الثقافة المحدودة التى ليست مفهومة بالنسبة للبربرى ولذلك فان النتيجة التلقائية هبوط المستوى الثقافى لكى يتوافق مع المستوى الروحى للبربرى[2] .

١- فرانك س الأخلاق النهيلستية عام ١٩٠٩ وكتاب القرون" موسكو ٩١ ، صـ ١٧٤.

٢- فرانك س" أفكار عن الثورة الروسية عام ١٩٢٣ "العالم الجديد" عام ١٩٩٠ ، رقم ٤ صـ ٢١٦

لا يصـــح لنا أن نقول أنها كانت عدم إنسانية للثقافة فى روسيا فقط . فلقد وصـــل الغـــرب إلـــى ثقافة الجمهور بطريقته الخاصة من خلال تعميم الإدارة من الثقافة.

وبـــالفعل يعتبر معادى للثقافة التى أصبحت غير إنسانية . وقد نبهوا بهذا السبب اعقل الشخصيات فى الغرب . وان يكتب "بيرديايوف" فى سنة ١٩٢٣ "تهبط جودة الثقافة وقيمتها فى كل مكان بسبب الديمقراطية" .

فقد قدم فى سنة ١٩٢٥ مقابل لذلك الرجل الأسباني "أورتيجا أى كاسيت" القلـــق بشـــأن نفـــس السبب ولكن صحيح أن تحدد الثقافة الإنسانية ثقافة الإنسان الشخصية تعنى الثقافة التى ضد الجمهور ، ضد الشعب "واجه فنا جديداً للجماهير وهكذا تكون طبيعته دائماً مقضياً على النجاح واكثر من ذلك ضد الشعب" .

ونحـــن نـــرى نمـــاذج لذلك الفن الجديد فى السينما من أمثال أنتونيونى ، فلينى ، تاركوفسكى ، بيرجمان ، سوكوروف وفى الأدب أمثال جويسن ، جيسى ، يورست نابوكوف ، يرورسكى وفى عام ١٩٨٥ نشر "أندرية تاركوفسكى" قبل وفاته كـــتاب "الوقت المحدد" فى فرانكفورت . حيث أكد فى هذا الكتاب على "أن العنف يشـــمل عـــالم الإنسان الروحى ومن تلك الشمولية ومن استحالة البساطة الإنسانية العملية يولد احتياج روحى لا يحتمل إلى الكمال ومن عدم التناسق المطلق خيال من التناسق المطلق" .

هكذا القرن العشرين ادخل التنسيق إلى مفاهيم الإنسانية والديمقراطية على طراز القرن التاسع عشر .

تحولت الديمقراطية فى مفهوم المساواة الاجتماعية وفى المصطلح الشعبى إلى مفهوم من التبسيط البوهيمى ، والتدنيس الثقافى .

الموقف تجاه الثقافة

قد ذكر فى كثير مما سبق الكثير عن الموقف الروسى من الثقافة ورأينا روسيا تختلف كثيراً عما عداها من بقاع العالم . ولكن وجهة نظر الشعب تجاه الثقافة لا تخلف عن تلك الموجودة من كل الشعوب فى الغرب وفى الشرق وأيضا تختلف بين فئات الشعب نفسه كالمتعلمين وغيرهم وأيضا بدرجاتهم .

فيرى الجمهور الروسى الفن والفلسفة والأدب أجزاء من الثقافة المادية ولم يهتموا بها ويقبلونها .

وهنا يأتى دور المسلسلات من أمريكا اللاتينية والقصص المأساوية الاستعراضية الهندية والروايات الأمريكية والروايات البوليسية الفرنسية كنفس الأشياء فى الشرق والغرب مع اختلاف اللغة وتصرفات المتطرفين .

ويختلف الوضع داخل طبقة المتعلمين فى المجتمع فلقد ذكرنا من قبل كراهية النهيلستيين للثقافة وكيف كان يحارب الثوار وأنصار أفكار تولتسوى من اجل تبسيط الثقافة مع الاختلاف فى أن أنصار أفكار تولستوى كانوا يملئون سياستهم الثقافية بالعقائد المسيحية لنشرها . أما البلاشفة فكانوا يغمرونها بالماركسية . وبإمعان النظر هل يمكن أن نفهم لماذا كان تولستوى الأرستقراطي يعامل الفن بطريقة الفلاحين الروس . ولماذا اختار "افاناس شينشين" "شاعر وصديق لتولستوى" هذا الموقف الأرستقراطي جدا وهو يدافع عن الثقافة .

مما سبق نرى أن هناك تناقضا فى الثقافة الروسية وهذا التناقض ينعكس على الشعب فى شتى مجالات الحياة .

ولأن الروسي يسعى ليكون روسيا فقط لا يريد أن يشبه الأوروبي أو الأسيوي وكأن هذا الشبه بالنسبة له هو الموت .

وهذا التناقض يصفونه بأنه طالما كان الروس الغربيين مازالوا روساً فقد اخـــذوا العقائد الاشتراكية والراديكالية أي العقائد التى ترفض أركان الثقافة الغربية والعكـــس طالمـــا قبلوا مبادئ إيجابية من الثقافة الغربية الليبرالية مثلا فهم بالتالى اصبحوا من غير الروس[1] .

صفة هذه الحضارة

إن كـــل ما سبق ما هو إلا محاولة لرسم صورة الشعب الروسى ومحاولة لتحديد مكانة الثقافة والحضارة الروسية من الحضارة العالمية .

وهـــنا توجد صعوبة التحديد لان معظم الباحثين يعتقدون أنها روح قومية بالإضافة إلى إيجابية خشنة . ولقد رأى ليف ثينتوف" أن هذه العقيدة تساوى بين الإنسان وقطيع من الأبقار" .

ويشرح سوركين مفهوم الحضارة فيقول أنها صلة اجتماعية تتناول طبيعة نفسية وتتحقق فى وعى الأفراد وعندها تخرج من حدودها[2] .

وهـــنا تـــأتى مسألة العولمة والتى تتطلب التدخل فى حياة الفرد ولكن هل سيفضل الشعب الروسى الانعزال أم يصبح أحد أفراد التقدم العالمى "إن الحياة ذاتها هـــى اشتراك لا اختيارى فى جو البشرية" التقدمى وقداسة هذه الحياة ومعنى الكون كله يطلب أن يصبح هذا الاشتراك لا اختياري لكل منها فى كل شئ بحرية ويصبح اكثر واكثر وعيا وحرية[3] .

لـــتدخل حضـــارة عالمية بحق يجب علينا قبل كل شئ أن نذكر أن الفرد كالحجـــر فى البناء الحضارى وضرورى أن تتخلص من الإرهاب وأخيرا نعترف بحق الأرستقراطية والاعتدال والليبرالية الروحانية الحقيقة تعنى الطيبة الحقه التى

١- فرانك س "أفكار عن الثورة الروسية" ١٩٢٣ العالم الجديد ١٩٩٠ صـــ ٢٢٠.
٢- سوركين ب " الإنسان – الحضارة – المجتمع" موسكو ١٩٩٢ .
٣- سولوفييوف "الإنسان – الحضارة – المجتمع "موسكو ١٩٩٢.

يسعى إليها الروس دائما .

ولكن الطيبة المطلقة هى الحرية فقد قال "يورسيس تشيتشيرين" لـ "جيرتسين" "يجب على مجتمعنا أن يشترى لنفسه حق الحرية بضبط النفس وبعدها يصبح الشعب حرا داخلياً وظاهرياً .

الخاتمة

كيف تستمر الحضارة

إن عملية العولمة التى نشطت فى نهاية القرن العشرين حددت نزاعات الحضارة على سطح الأرض . وماذا يعنى كيان الإنسان فى القرن الواحد والعشرين ؟ نظم المعلومات وقياسية المميزات القومية لا تعنى تخلى العالم عن الثقافة والكوسوبولدينية والآن قد فقدت هذه الكلمة معناها لأنه ظهر قبلها ما يوحد الشعوب . والثقافة اليابانية الصينية بعد موافقة اليابان والصين على نظام التقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى فى ذاته غربى ليبرالى مسيحى وماذا تعنى الآن كلمة مسيحى ؟ تعنى سيادة الشخصية فى المجتمع الليبرالى وهى "حرية الشخص والاقتصاد والتقدم الروحى" [1]

لقد ظهرت ثلاث مراكز للتقدم فى العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وهى أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأقصى أو بالتحديد دول جنوب شرق آسيا . ولحد ما يتعامل الثلاثة سويا ولا تستطيع قوة فى العالم أن تقف فى مواجهتهم وهم بالتحديد يمثلون بشخصياتهم وعقيدة التقدم العولمى للحضارة ويجب على روسيا وعلى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق أن يختاروا لمصلحتهم اختيار العولمة هذا . ولأن الإرهاب والتعصب الذى يختلط بالتطرف الدينى هما ما يواجهون الحضارة العالمية وإذا وجدا العالم الإسلامي داخلة معنى سليم كما فى "مصر وتركيا وماليزيا".

وإذا توقف الشقاق الدينى فى البلقان والفليبين فمن الممكن أن نتحدث عن أهم نصر للبشرية وتذليل الانقسام :

١- شيستوف "sole fide" باريس عام ١٩٦٦.

ولقد قال "ساخاروف" أي فعل أمام الخطر الذى يزيد اختلاف العقائد والشعوب فى العالم "الجريمة ، الجنون" .

والآن وقد اقتربنا إلى نتائج ختامية لهذا التحليل الذى نحاول فيه أن نركز على المفهوم الروسى لتقدم البشرية الروحانى والثقافى . وهذا ما يركز عليه المفكرين الروس فى بحثهم عن الحضارات بطريقتين الفلسفية السياسية والشخصية الروحانية .

"فى البلاد التى تعتبر الآن متقدمة فى النضال من اجل الديمقراطية توجد جذور مسيحية للحرية لا تزال حية وضرورى لنصرها الجديد ونموها فى المستقبل واستقرارها فى العالم من شروط واهم هذه الشروط نهضة البداية الدينية المطلقة التى تستطيع أن تحدد جمع ادعاءات الحكومة العادلة وغير العادلة .

وإظهار هذه البداية المطلقة كدين للفرد والحرية وتحديد سيادة الدولة من أعلى بواسطة الاتحاد الإجباري العالمى ومن أسفل بواسطة التعليم الجامعى الاستقلالى والفيدرالى[1] .

وبالنسبة للشخصية من الناحية الدينية الاجتماعية فهنا نجد الإنسان الروسى ولكن يجب علينا أن نكبت الرغبات الإرهابية والنهيلستية الإلحادية فى نفس كل شخص لكى تأتى اللحظة ونكون أشخاص معتدلين ومهذبين ومثقفين ويجب أن تجد نفسك فى كل ما يخص الروس من صفات التدين بدون هستيرية والموهبة بدون تكبير وحب الحرية بدون إرهاب .

وقد رسخت فى صفات الشعب الذوق والشعور بالحدود لدى المهذبين ولكن أهم شئ هو القدرة على الحب وأهم فلسفة لجميع الأديان هى فلسفة ثابتة على الحب وليس الخوف "مملكة الإلهية موجودة داخلكم" لذلك من المستحيل أن يكون أقيم واهم من إصلاح النفس لذات الإنسان بالنسبة للعقيدة الدينية"[2] .

١- فيدوتوف "ظهور الحرية" ١٩٤٤ "العلام الجديد" ١٩٨٩.

٢- سترودى "طبقة النبلاء والثورة ١٩٥٩" المهذبين فى روسيا ١٩٩١.

ملحق

أهم الشخصيات التى ورد ذكرها فى الكتاب وصور من الحياة الروسية

- **بينينسكي فيستاروون جريجوربيفيتش :**

ناقد أدبي روسي ولد عام ١٨٤٨ في مدينة "بطرسبورج" درس في جامعة موسكو للآداب وتخرج فيها.

- **اندريه بيلي :**

اسمه الحقيقي "بوريس نيكولابوفتش بوجايوف" وهو كاتب روسي وعالم في النظريات الرمزية وشاعر أيضا. ولد في مدينة موسكو عام ١٨٨٠ وتوفي عام ١٩٣٤ . وتخرج في جامعة موسكو في كلية العلوم وكان متخصصاً في الرياضيات وذلك عام ١٩٠٣ . كتب أول شعره عام ١٩٠١ – وهو واضع أسس علم الجمال ومذهب الرموز أو الرمزية ونظرية الإيقاع في الشعر الحديث والنثر حيث استخدم فيها الأساليب الرياضية.

- **بولجاكوف ميخائيل افاناسيفيتش :**

كاتب روسي سوفياتي ولد في عام ١٨٨١ بمدينة "ياروسلافل" وتوفي في موسكو عام ١٩٥١. حيث تخرج في جامعتها عام ١٩٠٤ وأصبح بروفسيراً فيها عام ١٩٢٦. وهو عضو الأكاديمية الروسية الفيدرالية للعلوم التابعة للجمهوريات السوفيتية من عام ١٩٤٧.

كتب عن الأدب الروسي في القرن التاسع عشر وكانت كتاباته تتعلق بتطور الفكرة الاجتماعية الروسية.

- **يونين إيفان أليكسيوفتش :**

كاتب روسي ولد في عام ١٨٧٠ بمدينة "فورونيج" وتوفي عام ١٩٥٣ بباريس في فرنسا. نشأ في عائلة من النبلاء ونشر أول أعماله عام ١٨٨٧ واختير عضوا شرفيا في أكاديمية العلوم الروسية عام ١٩٥٩ وكان ضد الثورة الروسية مما جعله مهاجر إلى باريس عام ١٩٢٠.

- **بورودين أليكساندر بورفيريوفتش :**

أديب وطبيب وملحن وعالم كيمياء هو ابن أمير "حيديتانوف.س.ل" تخرج في الأكاديمية الطبية في تخصص الجراحة عام ١٩٥٦ ونال درجة الدكتوراه في الطب

. وبـدأ نشاطاته في "بطرس برج" التي تعددت ما بين البحث العلمي
شاطات الاجتماعية وتدرج في السلك الأكاديمى حتى وصل إلي مدير
ياء فـي أكاديمية الطب والجراحة عام ١٨٧٤ . وكان أيضا مدرساً
ي لتعليم السيدات التمريض في الفترة ما بين عامي ١٨٧٢، ١٨٨٧ بدأ
رحياته وراوياته بدأ من خمسينات القرن التاسع عشر وأثرت إبداعات
بداعاته علي الملحنين الروس وغيرهم.

لاي اليكساندروفيتش :

روسي ولد عام ١٨٧٤ بمدينة كييف وتوفي عام ١٩٤٨ في فرنسا.
من النبلاء وتعلم في جامعة كييف وكان ضد الثورة البلشفية الروسية
إلـي الهجـرة إلـى فرنسا. تأثر بأفكاره ونشاطاته علي تقدم المذهب
المذهـب الوجودي في فرنسا. وأشتهر في الغرب بصفة ناشر ومؤيد
الدينية الروسية وكزعيم لمذهب أيدلوجى مناوئ للشيوعية.

ديمير إيفانوفتش :

روسي ولد في مدينة بطرس برج عام ١٨٦٣ وتوفي في عام ١٩٤٥
ـرج فـي جامعـة بطرس برج في كلية العلوم في تخصص الفيزياء
عـام ١٨٨٥. وهـو المؤسس لقسم وتخصص الكيمياء الجيولوجية
بي بأكاديمية العلوم لاتحاد الجمهوريات السوفيتية عام ١٩٢٣ وأول
ـية العلـوم الأوكرانـية عـام ١٩١٩ ثـم عضو أكاديمية العلوم
ة عام ١٩٢٦.

ن فاسيليوفتش :

ولد في عام ١٨٢١ وتوفي عام ١٨٨٤. أستاذ في الاقتصاد والعلوم
جامعـة كييف "بأوكرانيا" ثم في جامعة موسكو في الفترة من ١٨٤٦ :
أيضـا الأسـتاذ بالمعهد واليسيه الاكساندري "أى الذى أنشأه القيصر
ـنة بطرس برج ما بين "١٨٦١ – ١٨٦٨" وهو المؤسس والمحرر
الاقتصادي "١٨٥٧ – ١٨٦١" ومجلة الاقتصاد "١٨٥٨ – ١٨٦٤"
طوير الصناعات الرأسمالية الضخمة في روسيا. وكان يجد في قانون
قانون الطبيعة الدائم.

• **فيرلين بول :**

شـــاعر فرنسي ولد عام ١٨٤٤ في مدينة متيس وتوفي في عام ١٨٩٦ بباريس نشأ في عائلة من الضباط. وهو أحد مؤسسي المذهب الرمزي. وعمل في مكتب صحفي بباريس.

• **فروبيل ميخائيل اليكساندروفيتش :**

رســـام روســـي ولـــد فـــي مدينـــة أومسك عام ١٨٥٦ وتوفي عام ١٩١٠ بمدينة بطرســـبورج. درس الرسم علي يد "تشيستوكوف.ب.ب" في مدينة بطرس برج في الفترة "١٨٨٠ – ١٨٨٤" وقد سافر كثيراً إلي إيطاليا وفرنسا وزار العديد من الدول مـــثل ألمانـــيا وسويســـرا واليونان. وعاش الفترة من "١٨٨٤ – ١٨٨٩" في كييف بأوكرانـــيا حيث رسم العديد من الأيقونات. ويوجد الآن في متحف كييف العديد من لوحاته المائية.

• **بلوك اليكساندروفيتش :**

شـــاعر روسي ولد عام ١٨٨٠ وتوفي في عام ١٩٢١ بمدينة بطرسبورج تخرج في كلية الآداب قسم السلافية الروسية بجامعة "سانك بطرس بورج" عام ١٨٠٦ وتزوج مـــن منيديلـــيوفا .د.ل" إبنة عالم الكيمياء الكبير "منيد يليوف إ.د" عام ١٩٠٣ وكتابة بلوك للشعر بدأت منذ الصغر.

• **بروكسين نيكولاي لبيونيفتش :**

أديـــب ســـوفياتي ولـــد عـــام ١٨٨١ بمدينة "ياروسلافل" وتوفي عام ١٩٥١ بمدينة موســـكو. وتخرج في جامعة موسكو عام ١٩٠٤ وشغل منصب بروفسيور في نفس الجامعـــة عـــام ١٩٢٦. كان عضو بأكاديمية العلوم الفيدرالية الروسية عام ١٩٤٧. تنصـــب جمـــيع أعمالـــه حول الأدب الروسي في القرن التاسع عشر وتطور الفكر الاجتماعي الروسي من خلال الأدب.

• **جوجول نيكولاي ليونتفيتش :**

روائـــي روســـي ولـــد عام ١٨٠٩ وتوفي عام ١٨٥٢ أثر جوجول بشكل بالغ في الواقعية الكلاسيكية للرواية الروسية.

- **جوركين ماكسيم :**

"اسمه الحقيقي " اليكساندر ماكسيموفيتش بيشكوف".

كاتب اجتماعي روسي ولد عام ١٨٦٨ وتوفي في عام ١٩٣٦ كان ناشراً ومؤيداً للحركة الثورية في روسيا. وانتقد جوركين في كتابه "الأفكار لا زمان لها" الاتجاه الثوري "للينين ف.إ" عاش خارج روسيا ما بين "١٩٢١ – ١٩٣١" وبعد عودته إليها أثر بشكل واضح في تشكيل مبادئ الأدب الحديث.

- **جوميلوف نيكولاي ستيانوفيتش :**

محارب وشاعر روسي ولد عام ١٨٨٦. كان أحد الممثلين المتقدمين لحركة "اكميليزم" قتل باعتباره مشارك في مؤامرة ضد الثورة عام ١٩٢١.

- **فوزنيسيسكي اندريه اندرييفيتش :**

شاعر وأديب روسي ولد عام ١٩٣٣ وهو شاعر غنائي وأيضا يكتب النثر والأدب الاجتماعي وكان يحاول دائما أن يضم أهدافاً غير أدبية إلي الإبداع الأدبي.

- **سولوفيوف سيرجي ميخايلوفيتش :**

مؤرخ روسي ولد عام ١٨٢٠ بمدينة موسكو. تخرج في جامعة موسكو عام ١٨٤٢ وحصل علي الدكتوراه عام ١٨٤٧ وكان عضواً في أكاديمية العلوم "بسان بطرسبورج" ومن أهم أعماله "تاريخ علاقات الأمراء الروس داخل عائلة روبكوف وأيضا ما شغله طيلة حياته وهو "تاريخ روسيا من القدم وقد نشر في ٢٩ مجلداً ما بين عامي "١٨٥١ – ١٨٧٩"

- **ساخاروف اندريه ديمتريوفتش :**

فيزيائي روسي عضو أكاديمية العلوم لسوفيتية من عام ١٩٥٣ وقبلها كان يعمل بمعهد البحوث الفيزيائية التابع لها منذ عاد ١٩٤٥ والذي يسمي بـ "ليبيديف ن.ب" ومن أهم مؤلفاته "إنجازات العلوم الفيزيائية" "١٩٦٦" ومشاكل في الفيزياء النظرية " ١٩٦٩".

- **سترافينكسي ايجور فيدوروفيتش :**

ملحن ومايسترو روسي " ولد عام ١٨٨٢ بمدينة "أرانيومباؤم" والتي تعرف حالياً

باسم "لومونوسوف" وتوفي عام ١٩٧١ بمدينة نيويورك ودفن بفينسيا. وهو ابن المطرب. سرافينسكي إ.ف.

تعرف في بداية حياته على الرسم والآداب والمسرح والموسيقي حتى أنه كان يعزف علي البيانو وعمره تسع سنوات وشجعه "دياجلييف ب.س" منظم العروض الروسية في باريس حيث تقدم روسيا عروض البالية الشهيرة هناك. مثل "فرجوز ١٩١١" وربيع مقدس ١٩١٣"

وبدءا من عام ١٩١٠ عاش متنقلاً بين باريس وسويسرا وروسيا حتى استقر عام ١٩١٤ بسويسرا حتى عام ١٩٢٠ حيث مكث بعدها عدة سنوات في باريس ثم انتقل عام ١٩٣٩ الي الولايات المتحدة الأمريكية حيث أخذ جنسيتها عام ١٩٤٥.

- **سوفوروف أليكساندر فاسيليوفيتش :**

ولد عام ١٨٢٩ أو ١٨٣٠ في موسكو وتوفي في عام ١٩٠٠ في مدينة "سانكن بطرسبورج" ودفن في قصر "اليكساندرو – نفيسكوي"

وكان سوفسوروف ابناً للواء فاسيلي ايفانوفيتش سوفوروف المولود عام ١٧٠٥ وتوفي عام ١٧٧٥ الذي كان زميلاً للقيصر بطرس وشغل منصب قائد الجيش الروسي وكان واضعاً للعديد من النظريات الحربية.

- **سولجنيتسين اليكساندر ايسايوفتش :**

كاتب روسي حصل علي درجة أكاديمى من أكاديمية العلوم الروسية عام "١٩٩٧" من أهم أعماله الاحتفاظ بالروح الإنسانية في الظروف التوتاليتارية والمواجهة الداخلية" اشترك في الحرب العالمية الثانية ثم اعتقل في الفترة من "١٩٤٥ حتى ١٩٥٣" ونفي في الفترة ما بين "١٩٥٣ حتى ١٩٥٦". وكان يتحدث عن انهيار النظام الشيوعي بدليل النقص في نظامه الاقتصادي. وقد كان يدافع بشده عن القيم الكلاسيكية القديمة والقيم القومية والدينية.

أي القيم الليبرالية في مجملها وطرد من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٤ فعاش في ألمانيا ثم في الولايات المتحدة الأمريكية ثم عاد إلي روسيا عام ١٩٩٤.

- **لينين "اليانوف" فلاديمير إيليتش :**

السياسي والقائد السوفيتي الشهير.

نشـــأ في عائلة من النبلاء كان والدة ناظراً للمعهد الشعبي. التحق بكلية الحقوق في جامعـــة "كـــازان" ورفت منها وأبعد من البلد وذلك من أجل اشتراكه في التجمعات الطلابية وبعدها التحق بكلية الحقوق بمدينة "بطرسبورج" ونجح فيها عام "١٨٩١" ثم اشترك في إنشاء اتحاد النضال من اجل تحرير الطبقة العاملة في مدينة بطرسبورج" عام ١٨٩٣" ثم دخل السجن عام "١٨٩٥" وبعدها تم إبعاده إلى قرية "شوشين" عام " ١٨٩٧" وذلـــك لمـــدة ثلاث سنوات. وفي سنة ١٩٠٠ سافر إلى خارج روسيا وقام بـــتحرير جـــريدة اســـكرا. ثم تولي رئاسة البلشفة عام "١٩٠٣" ثم عاد إلى مدينة "بطرســـبورج" ســـنة ١٩٠٥ وهو أيضا صاحب الدور الأساسي والحاسم في اتفاقية السلام في "بريست"

- **لوناتشارسكين اناتولي فاسيليوفيتش :**

سياسي وكاتب اجتماعي ومؤلف مسرحي. ولد في عام "١٨٧٥" واشترك في الثورة الروســـية. حصـــل علي درجة أكاديمي في أكاديمية العلوم السوفيتية عام "١٩٣٠" وكان صاحب نظرية وفكرة "إنشاء الإله" ونشرها ما بين سنتي "١٩٠٥ – ١٩٠٧". وكـــان رئيســـا للجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفيتي عام "١٩٢٩" وعين ممثلاً سياسياً في أسبانيا عام "١٩٣٣" وتوفي في نفس العام "١٩٣٣"

- **اخماتوفا آنا أندرييوفا :**

اســـم عائلتها الحقيقي "جورينكو" هي الشاعرة الروسية الشهيرة ولدت عام "١٨٨٩" وتوفيت سنة "١٩٦٦" كانت مؤيدة لفكرة "اكمائيزم" الإخلاص لأخلاقية أسس الكون وكتبت في علم النفس والمشاعر الخاصة بالنساء.

- **ديستويفيسكي فيدور ميخايلوفيتش :**

الكاتـــب الروسي الأشهر. ولد عام "١٨٢١" ونال درجة أكاديمي في أكاديمية العلوم فـــي "بطرسبورج" عام "١٨٧٧" سجن في سنة "١٨٤٩" ثم حكم عليه بالإعدام ثم تم اســـتئناف الحكـــم فدخل السجن من سنة ١٨٥٠ – ١٨٥٤" مع استمراره في الخدمة العســـكرية كعقـــاب له وعـــاد إلى مدينة بطرسبورج سنة "١٨٥٩" وتوفي في عام ١٨٨١. لأعماله أثر كبير جداً في الأدب العالمي والروسي.

- **جلينكا ميخائيل ايفانوفتش :**

الملحن الروسي الكبير ومن مؤسسي الموسيقي الكلاسيكية الروسية وضع اتجاهين في الأوبرا الروسية وهما الاتجاه إلى الدراما الموسيقية الشعبية والثاني أوبرا القصة الحقيقية. وتم وضع جائزة في الموسيقي باسمه "جائزة جلينيكا"

وأصبحت إحدى أغانيه الوطنية أساساً للنشيد الوطني الروسي.

- **بطرس الأول "الشهير ببطرس العظيم :**

قيصر روسيا ولد في عام ١٦٧٢ وهو الابن الأصغر للقيصر أليكسي ميخايلوفيتش" وهو الإمبراطور الأول لروسيا من عام ١٧٢١ وقد قام بإصلاحات كبيرة في شتي المجالات منها تنظيم التعليم الحربي والخدمة الإجبارية في الجيش بالنسبة للنبلاء وقد أسس الجيش الثابت أو النظامي وأنشأ الأسطول البحري الروسي وقام بتنظيم الصناعة والتجارة والتعليم العالي وافتتح مراكز للتعليم في أنحاء روسيا وافتتح أكاديمية العلوم الروسية وكان هو مؤسس العاصمة الجديدة لروسيا "سان بطرسبورج يورج" وتوفي عام "١٧٢٥".

- **نابوكوف فلاديمير فلاديميروفيتش :**

الكاتب والأديب والمترجم الروسي الأصل والأمريكي الجنسية فيما بعد ولد عام ١٨٩٩ وتوفي سنة ١٩٧٧ بدأ الكتابة باللغة الإنجليزية ابتداء من عام ١٩٣٧ هاجر من روسيا عام ١٩١٩عاش في كمبريدج وبرلين ثم في باريس ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠ وحصل على الجنسية عام ١٩٤٥ ثم انتقل إلى سويسرا عام ١٩٦٠.

- **ايزينشتين سيرجي ميخايلوفتش :**

ولد عام ١٨٩٨ تعلم على يد "مايرخولدف" نال درجة الدكتوراه عام ١٩٣٩ في الفن وهو المخرج السينمائي والمدرس لهذا الفن واكتشف الإمكانيات والطرق الجديدة للمونتاج والصورة الكبيرة ونفذها في أفلامه الكبيرة مثل "أكتوبر" وتوفي عام ١٩٤٨.

- **جونتشاروف إيفان أليكساندروفيتش :**

كاتب روسي ولد عام ١٨١٢ وتوفي عام ١٨٩١ كان عضوا في أكاديمية العلوم في سان بطرسبورج" عام ١٨٦٠ من أهم موضوعاته "البحث عن مثل الأخلاق العليا ونقد النهيلستية.

- **ميريجوفسكي ديمتري سيرجيوفيتش :**

كاتب اجتماعي وشاعر و فليسوف ديني وباحث في أعمال "ليف تولستوى" "وديستويفسكي" ولد سنة ١٨٦٥ وتوفي ١٩٤١ وكتب الأشعار في المهجر بدأ من عام ١٩٢٠ حيث نشر أيضا كتبه من أمثال "من عيسى إلى أيامنا" ووجوه المقدسين" من عام ١٩٣٦ : ١٩٣٨" "ودانتي" "عام ١٩٣٩".

- **كويرين أليكساندر إيفانوفيتش :**

كاتب روائي روسي ولد سنة ١٨٧٠ وتوفي في سنة ١٩٣٨ هاجر إلى فرنسا عام ١٩١٩ وعاد إلى الوطن عام ١٩٣٧ من أبرز رواياته "المبارزة" عام "١٩٠٥" أوليسيا ١٨٩٨. "أنسيال عام ١٩١١.

- **بوشكين اليكساندر سيرجيوفتش :**

شاعر روسي ومن مؤسسي الأدب الحديث ومؤيدي اللغة الروسية الحديثة ولد عام ١٧٩٩ وتوفي عام ١٨٣٧ متأثراً بجراحة التي أصيب بها أثناء مبارزة مع "دانتيس.ج" مواطن فرنسي كان يخدم في العسكرية الروسية.

- **وليم شكسبير :**

الشاعر والمؤلف المسرحي الإنجليزي ولد سنة ١٥٦٤ وتوفي عام ١٦١٧ وأعماله تعتبر من أعظم نماذج المأساة في الأدب العالمي.

- **روبلوف أندرين :**

الرسام الروسي المولود في الفترة من ١٣٦٠ إلى ١٣٧٠ "غير معروفة السنة بالتحديد" والمتوفى سنة ١٤٣٠ ويعتبر من أبرز فناني مدرسة موسكو ويبدو أنه تخصص في رسم الأيقونات في الكنائس والكاتدرائيات ومن أشهر ما قام فيه كنيسة "بلاجو فيشانسكي" بموسكو عام "١٤٠٥" وكاتدرائية "اسبينسكي" بمدينة فلاديمير عام ١٤٠٨.

- **تشايكوفسكين بيترالبيتش :**

ملحـــن وأســـتاذ "بكونسيرفاتوار موسكو" السيمفوني والتأليف المسرحي الموسيقي. واســـتطاع تشايكوفسكين أن يعبر عن العالم الداخلي للإنسان واسطة الموسيقى ولقد أبـــدع في كثير من نماذج الأوبرا والبالية والسيمفونيات ولقد جدد كثيراً في موسيقى البالية.

- **باستيرناك بوريس لبيونوفيتش :**

كاتب روسي ولد عام ١٨٩٠ وتوفي عام ١٩٦٠ كانت اغلب كتاباته تدور في إطار إدراك واســـتيعاب عـــالم الإنســـان وعـــالم الطبيعة من أبرز أعماله "مأساة الثورة" والحرب الأهلية.

- **شوستاكوفيتش ديميرين ديمريوفيتش :**

الملحـــن وعازف البيانو والممثل الشعبي بالاتحاد السوفييتي والحائز على الدكتوراه فـــي البحـــث الفني عام ١٩٦٥و الأستاذ بمعهد الموسيقى العالي "لينينجراد" عام " ١٩٣٩" ثـــم فـــي موسكو من عام "١٩٤٣" لديه ١٥ سيمفونية في الفترة "١٩٢٥ : ١٩٧٥" و١٥ رباعية للألات الوترية من "١٩٣٨ : ١٩٧٤' ومؤلفات لثلاث الآلات "فورتبـــيانو "عـــام ١٩٤٤" ولحن عشر قصائد بدون مصاحبة موسيقية عام "١٩٥١" والعديد من موسيقات الأفلام السينمائية.

- **لومونوسوف ميخائيل فاسيليوفيتش :**

أول عالم روسي في العلوم الطبيعية على مستوي عالمي وأيضاً كان عالماً في اللغة وكتـــب في الأدب وكان رساما بارعاً وكذلك من المؤرخين البارزين ناصر تطوير التعليم والعلم وكذلك الاقتصاد الروسي.

ولـــد فـــي قرية "دينيسوفكا" ترك قريته في عام ١٧٣١ حيث توجه إلى موسكو لكي يـــدرس فـــي الأكاديمية السلافانية اليونانية اللاتينية ثم بعدها انتقل عام ١٧٣٥ إلى أكاديمـــية "ســـان بطرسبورج" ثم اكمل دراسته في ألمانيا في الفترة من ١٧٣٦ حتى ١٧٤١ ثم نال درجة أكاديمي في أكاديمية العلوم "بسان بطرسبورج" عام ١٧٤٥.

أســـس لومونـــوف المعمـــل الكيميائي الأول في روسيا التابع لأكاديمية العلوم عام ١٧٤٨ واقـــترح تأسيس وإقامة جامعة موسكو عام ١٧٥٥ وله عدة اكتشافات هامة ونال عضوية أكاديمية الرسم عام ١٧٦٣ وعندما توفي في "سان بطرس بورج" .

- **جان جاك رسو :**

كاتب وفيلسوف فرنسي كان يستنكر الكنيسة الرسمية والتعصب الديني وتزعم عقيدة العاطفية وكان ضد عدم المساواة الاجتماعية وضد القانون والسلطة وتتلخص أفكاره في أنها عبارة عن عبادة وتقديس الطبيعة ونقد أفكار المدن وثقافاتها التي تفسد الإنسان البريء ولد عام ١٧٢١ وتوفي عام ١٧٧٨ واعتبره كثير من الثوار الفرنسيين في نهاية القرن الثامن عشرة أستاذهم.

- **زمياتين يفجييني ايفانوفيتش :**

كاتب روائي روسي ولد سنة ١٨٨٤ وتوفي عام ١٩٣٧ نشرت رواياته خارج روسيا بالإنجليزية عام ١٩٢٤ وفي روسيا عام ١٩٨٨ مثل رواية "سكان الجزيرة" عام ١٩١٨ وكتب عن تشكيل المجتمع التوتاليتاري وكتب في المسرح وأدب الطفل أيضاً.

- **تشيؤولكوفسكي كونستانتين ادواردوفيتش :**

عالم روسي ومؤسس علم الملاحة الفضائية ولد في عام ١٨٥٧ وتوفي في عام ١٩٣٥ وله نظريات في علم الديناميكا وخاصة ديناميكا الصواريخ ونظريات في ملاحة الطائرات والمنطاد فقد السمع في صغره وتعلم بنفسه. دخل الامتحان عام ١٨٧٩ ونال درجة الأستاذية. درس طوال حياته علم الطبيعة وعلم الرياضيات. أثبت لأول مرة إمكانية استخدام الصواريخ في الملاحة بين الكواكب وأشار إلى أشياء كثيرة في علم الملاحة الفضائية وصناعة الصواريخ الكونية واكتشف عدة تصميمات هندسية للصواريخ الكونية.

أما عن أراءه الفلسفية فأنه صاحب فكرة أن الذرة هي الكائن الأساسي الأبدي كما كان مغرماً بفلسفة الفضاء.

- **باكونين ميخائيل اليكساندروفيتش :**

أحد زعماء المذهب "الفوضوي" شارك في الثورة الروسية وكذلك نادى بمذهب "نارود نيتشيستفا"

ولد عام ١٨١٤ هاجر خارج البلاد بدأ من عام ١٨٤٠ وتنقل بين باريس وبراغ وبريزدن حيث كان ينادي بالثورة ثم سلم للحكومة الروسية وحبس في قلعة "بطرويا فلوفسكين" ثم نقل إلى سجن في قلعة في مدينة "شلينسيليورج" عام ١٨٥٤ ثم نفى بعدها في عام ١٨٥٧ إلى سيبريا وهرب من السجن هناك عام ١٨٦١. فقام بتنظيم

التجمع السري الثوري المسمي "بالرفاق أو الأخوان الدوليين".

ثم منظمة الحلف الاشتراكي الديمقراطي عام ١٨٦٨ وكان له كبر الأثر على مذهب "نارود نيتشيستفاً.

- **ايكاترينا اليكسيوفنا الثانية :**

اسمها الحقيقي "صوفيا فريدريكا أوجوستا أنخالت" إمبراطوارء روسيا من عام ١٧٦٢ حتى ١٧٩٦ ولدت عام ١٧٢٩ نشأت في أسرة من النبلاء من طبقة الأمراء الألمان هاجرت إلى روسيا عام ١٧٤٤ وتزوجت من الأمير "بطرس فيدروفيتش" الذي أصبح بعد ذلك إمبراطور روسيا بطرس الثالث وبعد ذلك استندت على الجيش وعلى القائد "اوزلوف .أ.ج" فاغتالت زوجها لتحصل على الحكم عام ١٧٦٢ وأعادت تنظيم مجلس الشيوخ ثم رأست لجنة لتجهيز الدستور للإمبراطورية الروسية من عام ١٧٦٧ حتى عام ١٧٦٩ واتخذت قوانين لإدارة الولايات والمحافظات عام ١٧٧٥ وكانت ذات نشاط في السياسة الخارجية وثبتت أقدام روسيا على البحر الأسود.

ГЕРОИЧЕСКОЙ СОВЕТСКОЙ ЖЕНЩИНЕ

СЛАВА!

مجد المرأة الروسية في كل مكان

СЛАВА РУССКОМУ НАРОДУ—
НАРОДУ-БОГАТЫРЮ, НАРОДУ-СОЗИДАТЕЛЮ!

شعب منتج غير ناكر للجميل

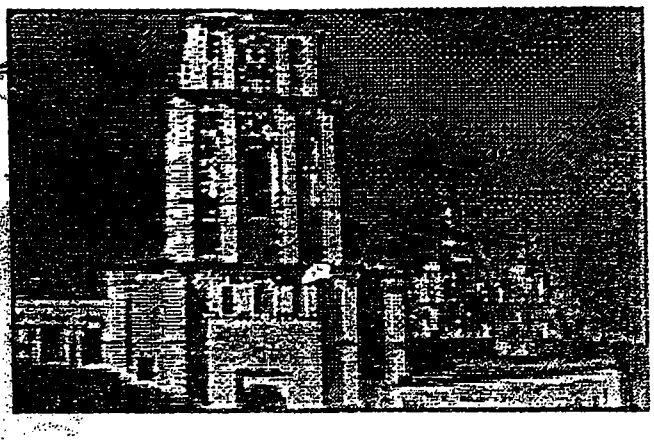

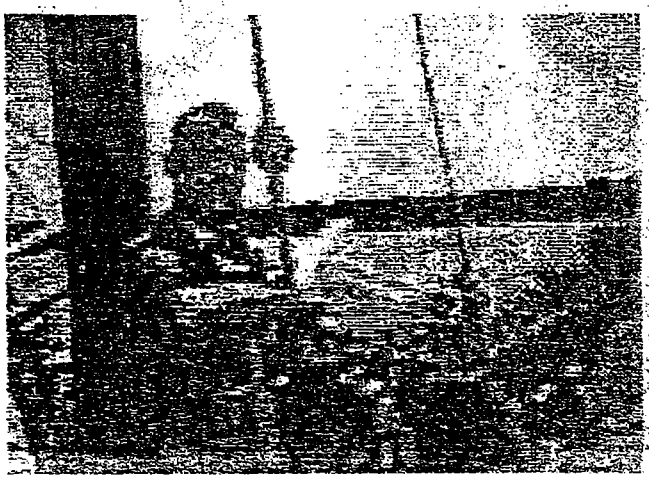

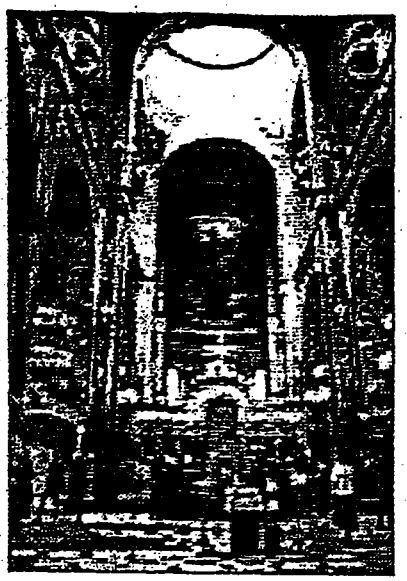

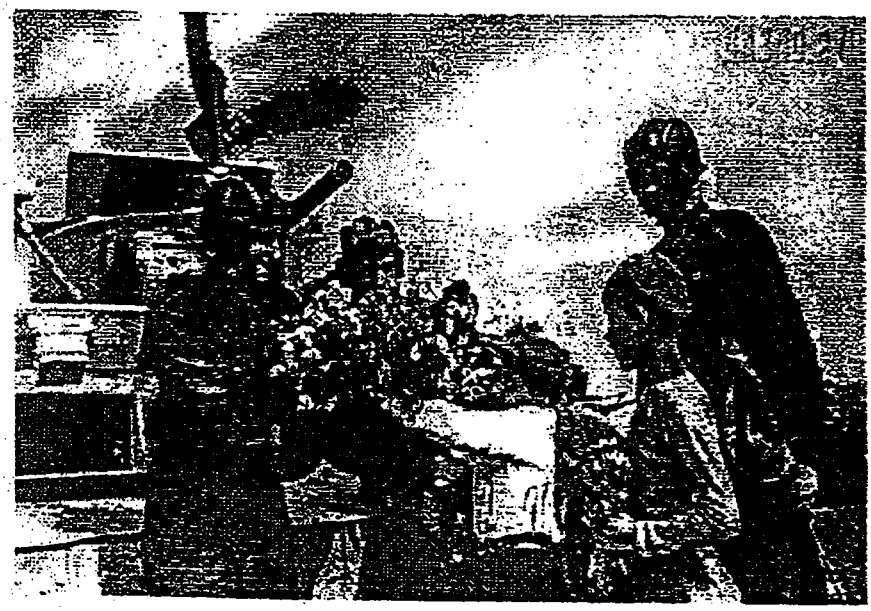

И МЫ БУДЕМ ЛЕТЧИКАМИ!

فهرس

المقدمة ٣

- السلوفان الشرقيين ومكانتهم في أوروبا والعالم ٣
- الشكل القومي للسلوفان الشرقيين. ٥
- الاختلافات بين السلوفان الشرقيين. ٨

الفصل الأول: النواحي التاريخية والفلسفية ١٣

- النواحي التاريخية والفلسفية للشرق والغرب ١٥
- السلوفان والمستغربين ١٦
- أصول الفلسفة الروسية ٢٠
- روحانية الفلسفة الروسية ٢٤

الفصل الثاني: "صفات الشخصية الروسية" ٢٧

- الإحساس والإرادة ٢٩
- الموقف تجاه الدين ٣١
- حياة الشخصية الروسية ٣٣
- الموقف تجاه العمل ٣٥
- الأنانية والتضحية بالذات ٣٧
- الموقف تجاه المادية والروحانية ٣٨

الفصل الثالث: "النواحي الاجتماعية للشخصية الروسية" ٤١
- التصور الروسي للمملكة الربانية على الأرض ٤٣
- الموقف تجاه الجماعة والفرد ٤٥
- الموقف تجاه الحرية وعدمها ٤٦
- دوافع المنطقية ٤٨
- منطقية السلطة ٤٩
- الموقف تجاه السلطة ٥٢
الفصل الرابع: "النواحي الثقافية" ٥٥
- الثقافة وصفات الشعب ٥٧
- الطبيعة والشعب ٥٨
- الفن ٥٩
- الأدب ٦٠
- الإنسانية واللاإنسانية ٦٣
- الموقف تجاه الثقافة ٦٥
- صفة هذه الحضارة ٦٦
الخاتمة ٦٨
- كيف تستمر الحضارة ٦٨
"ملحق لأهم الشخصيات التي ورد ذكرها في الكتاب" ٧١
صور من الحياة الروسية ٨٤
الفهرس ٨٧

د/ محمد الجوفي

عزيزي القارئ

أردت أن أهديك هذا الكتاب والذي أردت من كتابته محاولة نقل صور من حياة الشعب الروسي وكيف يحاول هذا الشعب ذو الفلسفة الفريدة أن يمنطق حياته. ولقد رأيت أننا كمصريين تتوافر لدينا معلومات عن شعوب كثيرة أمثال الشعب الإيطالي والفرنسي وعدد آخر من الشعوب، عن ثقافاتها وعاداتها أما الشعب الروسي فإن الغالبية العظمى منا لم تعاشره بشكل كبير وأن الذين عاشروا ذلك الشعب فى خلال الحقبة الناصرية وما بعدها بقليل لم يتداخلوا معه بشكل كبير.

وإنني قد واتتنى الفرصة لكي أعيش مع هذا الشعب وداخل بلاده بحيث أكون قريباً جداً منه، وذلك أثناء دراستي لدرجة الماجستير والاستعداد لنيل درجة الدكتوراه واستطعت أن ارصد حياته وعاداته عن قرب ، ولقد أردت من خلال هذا الكتاب أن أنقل صورة عن حياة هذا الشعب وكيف يستطيع أن يفلسق الأمور المتعددة لكل نواحي حياته وكيف أن لهذا الأسلوب أو الفلسفة التي يتبعونها جذوراً تضرب في عمق تاريخهم وكل ما أوردته في هذا الكتاب أتيت بأدلة عليه من كتابات الروس أنفسهم.

وهذه ما هي إلا محاولة بسيطة منى لكي أقدم صورة لحياة هذا الشعب حتى نستطيع الاستفادة مما هو جيد نافع فيها وأيضاً الابتعاد ونقد ما هو غير نافع ولقد رأيت أن اعرض ما هو موجود في الكتاب من وجهة النظر الروسية حتى يستطيع القارئ أن يحللها ويفهمها من وجهة نظره الخاصة ، فلم أتدخل بالنقد الصارخ أو حتى النقد المتوارى إلا في أجزاء بسيطة أردت توضيحها وفيما عدا ذلك تركته للقارئ.

والله ولى التوفيق

المؤلف

رقم الإيداع: ٤٤٧٩/ ٢٠٠٣

الثمن

٣٥٠

للطباعة والإعلان

٠١٠١٩٦٠٩٤١

٠١٠٦٤٤٨١٨٦